وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة
قسم التاريخ

الحروب الصليبية في مصر والشام خلال العهد الأيوبي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تاريخ
تخصص :تاريخ وحضارة المشرق الاسلامي

إعداد الطالبة :
- لحمر فاطمة الزهراء

إشراف الاستاذة:
د/ خامد عائشة

الموسم الجامعي :2021 / 2022 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وامتنان

الحمد لله السميع العليم ذي العزة والفضل العظيم ، والصلاة والسلام على المصطفى الهادي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد مصداقا لقوله تعالى " ولإن شكرتم لأزيدنكم"، أشكر الله العلي القدير الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على إتمام هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر والامتنان للأستاذة المؤطرة، وكل من مد لي يد العون من قريب أو من بعيد.

الاهداء

الحمدلله و كفى و الصلاة على الحبيب المصطفى و اهله و من وفى أما بعد:

الحمدلله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية بمذكرتي هذه ثمرة الجهد و النجاح بفضل الله تعالى إلى سندي و من علمني الصبر و الاتقان أبي الغالي.

إلى الغالية على قلبي أمي.

إلى قرة عيني إخوتي رعاهم الله محمد يوسف ، سمية ، حنان ، نورالهدى و سندس.

إلى رفيقة مشواري التي قاسمتني لحظاته بورج بشرى و إلي امي الثانية بورج فاطنة.

لكل عائلتي الكريمة التي ساندتني و لا تزال.

إلى أساتذتي قسم تاريخ و حضارة المشرق الاسلامي و إلى دفعة 2021

- جامعة عمار ثليجي -الأغواط

إلى كل من بعث فيا الامل وإلى كل من كان لهم أثر جميل على حياتي و إلى كل من أحبهم قلبي إلى صديقاتي و أصدقائي.

فاطمة

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات:

تع: تعريب

د ط: دون طبعة

د ت: دون تاريخ

ص: صفحة

مقدمة

مقدمة:

يعد تاريخ الدولة الأيوبية التي امتدت حوالي ثلاث أرباع القرن، من أهم المراحل التي عرفها المشرق الإسلامي الذي واجه حملات صليبية متتابعة على يد أقوى ملوك غرب أوروبا، و التي تجلت فيها فكرة السيطرة و التوسع بأوضح صورها، كما تعتبر مرحلة صلاح الدين مؤسس هذه الدولة من أهم مراحل تاريخ الحروب الصليبية لما قام به من دور في مواجهة أعداء المشرق .

وقد تمخضت الأحداث التي مر بها المشرق الإسلامي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) عن ميلاد الدولة الأيوبية.

وتمثلت تلك الأحداث في ذلك الخطر الخارجي الذي تعرضت له بلدان الشرق الإسلامي وأعني به الغزو الصليبي لبلاد الشام ، كذلك ما شهدته الديار المصرية من فوضى واضطراب أواخر الدولة الفاطمية وما نشب من صراع مرير بين أمراء البيت الأيوبي.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من حيث:

-اختلاف الرؤى حول هذه الأحداث والأبعاد (الحملات الصليبية) و التأثير على المناطق.

-التعرف على الأسباب العميقة و المركبة للاستهداف الصليبي في المشرق الاسلامي، و لم تكن الدوافع الدينية هي الوحيدة كما يظنها البعض بل كانت أعمق و أدق من ذلك بكثير.

-إعطاء صورة واضحة عن حياة هذه الأمة في هذه الحقبة المهمة من التاريخ الاسلامي و عن الأسباب التي أثرت في ضعفها.

-التعرف على الصراعات السياسية و صراعات الداخلية التي أضعفت المشرق الاسلامي، مصر والشام خاصة.

-تسليط الضوء على أحوال المجتمعات، كذا الصراع القائم بين البابوية و الامبراطورية في أوروبا.

دوافع اختيار الموضوع:

يعتبر موضوع الحملات الصليبية عامة و الحملات الصليبية في مصر و الشام خلال العهد الأيوبي بصفة خاصة، من المواضيع التي تجلب الانتباه، فهي مرحلة مهمة من التاريخ الاسلامي و حتى المسيحي في العصور الوسطى، لأنها ولدت ردود أفعال غاضبة في نفوس كل من المسلمين و حتى الصليبين.

وتعد الحملات الفرنجية في مصر و الشام خلال الفترة الأيوبية في حد ذاتها ذروة ما عرفته هذه الأحداث، و من هنا جاءت الرغبة في التعمق أكثر في هذه الحملات التي توالت في مصر تارة و في الشام تارة أخرى.

لذا جاءت دراستي بعنوان " الحملات الصليبية في مصر و الشام خلال العهد الأيوبي"، الذي انبثقت منها عدة تساؤلات.

الإشكالية :

كيف كانت أوضاع المناطق التي عرفت الحملات الصليبية؟

ماهي دوافع هذه الحملات الفرنجية ؟

ماهي حيثيات هذه الأحداث؟

وماهي أبرز نتائجها ؟

المنهج:

و لمعالجة الاشكالية المطروحة و للإجابة عن فروعها اعتمدت المنهج الوصفي التاريخي، الذي تقوم عليه الدراسات التاريخية لاسترجاع الحوادث المراد دراستها مع تحليل بعض الوقائع.

الخطة المتبعة:

بالنظر إلى طبيعة الموضوع و الأهداف المرجوة منه، اتبعت خطة عمل مكونة من ثلاث فصول:

فالفصل الأول عنونته بالأوضاع العامة قبيل الحملات الصليبية و به ثلاث مباحث الأول بعنوان : أوضاع أوروبا المسيحية و المبحث الثاني بعنوان أوضاع مصر و الشام، أما المبحث الثالث دوافع الحملات الصليبية على المشرق.

و الفصل الثاني تحت عنوان الصراع الأيوبي الصليبي، و به مبحثين الأول معنون بتأسيس الدولة الأيوبية، أما الثاني فيتضمن جهود صلاح الدين ضد الصليبيين.

و الفصل الثالث بعنوان الحملات الصليبية على مصر و الشام، و به ثلاث مباحث الأول تحت عنوان الحملة الصليبية الخامسة و المبحث الثاني بعنوان الحملة الصليبية السادسة و المبحث الثالث بعنوان الحملةالصليبية السابعة، و في نهاية البحث خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلت اليها و الحقت العمل ببعض الملاحق.

أهم المصادر و المراجع المتبعة:

و لإنجاز هذا العمل اعتمدت على المادة العلمية الموجودة في المصادر التاريخية، و بذلت ما بوسعي لاستخلاص ما يدعم موضوعي، و تمثلت هذه المصادر في كتب التاريخ العام و كتب التراجم و غيرها إلى جانب جملة من المراجع التي أفادتني كثيرا.

أولا: كتب التراجم

و تمثلت الأهم لأنها احتوت معلومات كثيرة عن دراستي ذكر منها الذهبي (ت: 748هـ/1347م) سير أعلام النبلاء الذي ساعدني في شرح كثير من الشخصيات و كتاب ياقوت الحموي (ت626هـ/1347م) معجم البلدان

ثانيا: كتب التراجم

من كتب التاريخ العام نذكر إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي (ت: 845هـ/1445م) و كتاب ابن التغري بردي (ت: 874هـ/1469م) النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر و القاهرة و كتاب أبو الفداء (ت:732هـ/ 1331م) المختصر في أخبار البشر و ابن الجوزي (ت: 597هـ/ 1200م) المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم.

ثالثا: المراجع الحديثة

هي جملة من المراجع نذكر أهم ما اعتمدت عليه كتاب سعيد عاشور الحركة الصليبية ، قاسم عبده قاسم ماهية الحروب الصليبية، محمود سعيد عمران تاريخ الحروب الصليبية و العروسي المطوي الحروب الصليبية في المشرق و المغرب.

صعوبات الدراسة:

يتطلب البحث العلمي الوقوفي محطات متعبة فكان الإلمام بالموضوع متعبا و شاقا رغم وفرة المعلومات و اتساع مجال العنوان المدروس.

الفصل الأول

الأوضاع العامة قبل الحملات الصليبية

المبحث الأول: أوضاع أوروبا المسيحية قبيل الحملات الصليبية

المبحث الثاني: أوضاع مصر والشام قبيل الحملات الصليبية

المبحث الثالث: دوافع الغزو الصليبي

تمهيد:

لن نستطيع أن نعلم حقيقة الحملات الصليبية ولا دوافعها وبواعثها بدون اطلاع دقيقي على الحياة السائدة في أوروبا في ذلك الوقت ، ولا ننفي أن يكون ذلك على المستوى السياسي فقط بل يجب أن يشمل أيضا المستوى الاقتصادي، الديني و الاجتماعي لنركب صورة من جميع جوانب الحياة في أوروبا ، و نفهم سبب التوجه الأوروبي الشامل لاستهداف العالم الإسلامي.

المبحث الأول: أوضاع أوروبا المسيحية قبيل الحملات الصليبية

أولا: الأوضاع الدينية

في هذه الحقبة التاريخية وفي القرون التي سبقت الحروب الصليبية وخاصة القرن التاسع والعاشر ، وكذلك الحادي عشر ميلادي الذي تمت فيه الحملات الصليبية، كان للكنسية سيطرة كبيرة على مجريات الأمور في أوروبا، ولم تكن هذه السيطرة فكرية ودينية فقط بل كانت سياسية واقتصادية وعلمية أيضا.

لقد كان في إمكان الكنيسة أن تسحب الثقة من الملوك والأمراء فتقلب عليهم الأوضاع و يرفضهم الخاصة والعامة ، ومن ثم الجميع ينظر إلى رأي الكنيسة بقدر كبير من الرهبة والتبجيل، ويكفي للدلالة على قوة البابا في ذلك الوقت أن نذكر موقفا للبابا جريجوري السابع مع الامبراطور الألماني هنري الرابع الذي كان أقوى ملوك أوروبا في زمانه، ومع ذلك فقد عضب عليه البابا في أحد المواقف ورفض الإمبراطور الاعتذار للبابا، فقام البابا بسحب الثقة منه أعلن حرمانه من الرضا الكنسي و بالتالي حرمانه من الجنة كما يزعم، و بدأ الناس يخرجون عن طوعه بل و كاد أن يفقد ملكه فنصحه مقربوه بالاعتذار الفوري للبابا، فقد قرر أن يأتي من ألمانيا إلى روما ماشيا حافي القدمين وذلك حتى يظهر ندمه الشديد على إغضابه للبابا.

ثم كانت المفاجأة أن البابا رفض أن يقابله لمدة ثلاثة أيام كاملة فبقي الإمبراطور خارج الكنيسة في المطر و البرد الشديد حتى سمح له البابا بالمقابلة ، فما كان من الإمبراطور إلا أن ارتمى على الأرض يقبل قدمي البابا ليصفح عنه[1].

لقد كان هذا هو الحل الوحيد أمام الامبراطور العظيم ليحتفظ بملكه، و مع كون الكنيسة تحتل في هذا الوقت هذه المكانة الكبيرة، إلا أن القساوسة كانوا على درجة كبيرة من الجهل و التخبط ، ولم يكن لهم في الغالب أي كفاءة دينية أو إدارية أو قيادية ولم يكن هذا فقط، بل إن معظم البابوات في القرن التاسع و العاشر الميلادي كانوا على درجة كبيرة من الفساد الأخلاقي سواء في قضايا المال و شراء المناصب الدينية أو في قضايا الأخلاق و كثير منهم قتل في حوادث أخلاقية مخلة[2].

و من الأفكار المهمة التي أشادها البابوات و القساوسة في القرن الحادي عشر –أي قبيل الحملات الصليبية – أن الدنيا على وشك الانتهاء، وأن يوم القيامة قد اقترب، و أن هذا مرتبط بمرور ألف سنة على نهاية عهد المسيح عليه السلام. أي أن هذه الإشاعة بدأت تنتشر في سنة 424هـ/1033م تقريبا و ما بعدها ،كانوا يفسرون كل الظواهر الكونية و الطبيعية في ذلك الوقت على أنها أدلة على صدق الإشاعة ،و من ذلك مثلا ثورة بركان فيزوف في إيطاليا أو حدوث بعض الصواعق أو الزلازل[3].

---

[1]– راغب السرجاني ، قصة الحروب الصليبية من البداية الى عهد عماد الدين زنكي ، ط2 ، مؤسسة إقرأ لنشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة ، 2009، ص ص 39، 40.

[2]– قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ط1، دار المعرفة ، الكويت ، 1990م، ص 79.

[3]– قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص 19.

و كان لانتشار مثل هذه الشائعات الأثر في إحداث حالة من الوجل و الرعب و الهلع عند عموم الناس و خوفهم المفرط من ذنوبهم، و قد كان من أهم الوسائل للتخلص من هذه الذنوب دفع الأموال للكنيسة وهو الأمر الذي تطور بعد ذلك إلى صكوك الغفران.

و من الوسائل أيضا هو التشجيع على رحلات الحج إلى أرض فلسطين مهد المسيح، و ذلك للتكفير عن الذنوب وكانت رحلات الحج التكفيرية هذه تستغرق من الناس جهدا كبيرا ووقتا طويلا، قد يصل إلى سبع سنوات و كانت هذه الرحلات بديلا عن دفع المال الكثير للكنيسة[1].

و لعل الخلفيات التي يجب أن تضاف إلى هذه الأمور السابقة، والتي تفسر ولع الغرب بقضية فلسطين خصوصا والشرق عموما هي ظهور رغبة عند بعض باباوات روما لضم الكنيستين الغربية و الكاثوليكية والشرقية الأرثودوكسية تحت سقف واحد يحكمه الكاثوليكيون بالطبع، وكان الذي تبنى هذا المشروع بقوة هو البابا جريجوري السابع و هو البابا السابق مباشرة بعد البابا أوربان الثاني الذي وقعت في عهده الحروب الصليبية، و كان ضمن الخطوات التي أخذها البابا جريجوري السابع لإتمام هذه الخطوة الفريدة بدأ يحسن من علاقاته مع الإمبراطور البيزنطي وهو الإمبراطور الذي سيعاصر الحروب الصليبية، مما جعل المراسلات بينهما مستمرة و مما حدا بعد ذلك بالإمبراطور البيزنطي أن يستغيث بالغرب الكاثوليكي لنصرته ضد السلاجقة المسلمين، و ذلك مع شدة كراهية هذا الإمبراطور الأرثودوكسي لكل بابوات و ملوك و شعوب أوروبا الكاثوليكية[2].

ولعل أيضا الخلفيات التي ذكرناها سابقا تفسر بوضوح الحمية المتناهية التي دفعتهم نحو المشاركة في الحملات الصليبية، و مع ذلك فليست الخلفية الدينية هي الوحيدة عند الشعوب الأوروبية آنذلك، و لكن كانت هناك عوامل أخرى مؤثرة جدا مثل العوامل الاقتصادية السياسية و الاجتماعية.

ثانيا : الخلفية الاقتصادية:

عاشت أوروبا أزمات اقتصادية طاحنة لعدة قرون، رغم خصوبة الأرض إلا أنها مليئة بالغابات و استصلاح الأراضي و زرعها يحتاج إلى فن و جهد و تقنية، و لم يكن هذا متوفرا في هذه البيئات الجاهلة التقنيات البدائية و خاصة في المناطق الشمالية ذات البيئة القاسية هذا فوق ضعف المواصلات و انقطاع الطرق ، مما كان يمنع وصول الغذاء من مكان إلى مكان و لو بغرض التجارة و من ثم فإن نقص الإنتاج المحلي من الغذاء يعني ببساطة المجاعة القاتلة، و كانت هذه المجاعات تستمر أحيانا لسنوات مما يؤدي إلى فناء القرى و المدن، وكان انتشار الأمراض وانعدام العلاج يساهم في موت المزيد و المزيد و كل هذه الأمور جعلت الفقراء و الفلاحين يذيقون ذرعا بحياتهم و يشعرون بالاحباط الدائم و اليأس المستمر، فإذا لكل تلك الضرائب الباهضة التي كان يدفعها الفلاحون أكدت مدى المعاناة التي كانوا يعيشونها.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 40.

[2]- راغب السرجاني ، قصة الحروب الصليبية ،ص ص 43 ، 44

و في أخريات القرن الحادي عشر وخاصة في السنوات العشر التي سبقت الحملات الصليبية، حدثت مجاعات رهيبة قاتلة خاصة شمال فرنسا و غرب ألمانيا، و لعل هذا ما يفسر خروج الكثير من الجيوش من هذه المناطق التي كانت لابد لها من أن تهرب إلى أي مكان به طعام و شراب، ولو كان هذا المكان على بعد مئات و آلاف الأميال فلن يكون أبشع من الموت جوعا [1].

و على نقيض من هذه الصورة، كانت هناك صورة مغايرة تماما عند بعض الاقتصاديين في أوروبا و خاصة في الجنوب الأوروبي و على سواحل البحر الأبيض المتوسط، فقد ازدهرت التجارة البحرية في ذلك الوقت و أفاد التجار الجنوب الأوروبي من وجودهم على السواحل في التجارة مع حوض البحر الأبيض المتوسط بكامله، بل تجاوزته ألى داخل آسيا و افريقيا و كان من أبرز الموانئ التي ظهرت في الفترة التي سبقت الحملات الصليبية موانئ إيطاليا و خاصة بيزا.

فكانت هذه الموانئ تمثل قوة اقتصادية مؤثرة في هذا الوقت ، و كانت القوة الاقتصادية المنافسة الوحيدة هي قوة الاقتصاد الإسلامي و كانت هذه القوة مراكز مهمة في الشام و مصر و المغرب و كذلك في الأندلس ، ومن هنا حرص تجار إيطاليا على دعم الحملات الصليبية المتجهة للشرق فهم بذلك سيقضون على منافسهم الوحيد و من ناحية أخرى سيفتحون سوقا هائلا لتجارتهم في هذه البقاع الاسلامية[2] .

ثالثا: الخلفية السياسية

في القرن الخامس ميلادي و بالتحديد في سنة 476 هـ، سقطت الامبراطورية الرومانية الغربية وذلك تحت الضربات الموجعة للقبائل الجرمانية الشمالية، وهي قبائل همجية عنيفة لم تظهر بأي عين من الاعتبار للحضارة الرومانية المتميزة،بل سعت إلى التدمير و الإبادة و في غضون قرنين من الزمان كانت القبائل الجرمانية قد انتشرت في كل أوروبا و كان هذا الانتشار مصحوبا بنشر الأفكار الجرمانية العنيفة و السلوك الإجرامي عند عامة الناس[3] .

ثم شهد القرنان التاسع والعاشر الميلادي – قبل الحروب الصليبية بقرن من الزمان – عدة هجمات ضارية على أوروبا سواء من الفايكينج القادمين من إسكندينافيا أو من المسلمين القادمين من الأندلس أو شمال افريقيا، و هذا ساعد في الروح القتالية عند عموم الناس و تحول الأوروبيون إلى الشكل العسكري حتى صارت صورة الشخص النبيل العظيم هي صورة الفارس المقاتل[4] .

---

[1]–عاشور سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، القاهرة ، 2005، ص 164.

[2]–راغب السرجاني ، قصة الحروب الصليبية، ص 45.

[3]–المرجع السابق، ص 46.

[4]–قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص 42، 43.

و نتيجة نمو هذا الفكر العسكري داخل أوروبا كان لابد للقوى المختلفة أن تصطدم معا فبدأ الصراع بين الدول الاوروبية المختلفة بغية التوسع والسيطرة، ثم قسمت الدول إلى إقطاعيات منفصلة متصارعة فيما بينها، و على كل إقطاعية أمير قد يدين بالولاء أولا يدين للملك العام على الدولة و كون كل أمير ميليشيات عسكرية خاصة به، و عمت الفوضى كل أرجاء أوروبا مما أدى إلى فقد الكنيسة السيطرة على هذه القوى الكثيرة و المتناحرة[1] .

و كان الوضع أشد ما يكون متردیا في فرنسا، حيث فقد الملك السيطرة الكلية على البلاد و صار الحكم فيها لأمراء الإقطاعيات و تفتت الدولة إلى إمارات متعددة كل منها له جيشه الخاص، أما الوضع في ألمانيا فكان أفضل حالا حيث ظهر ملك قوي هو هنري الثالث ثم ابنه هنري الرابع و ذلك في القرن الحادي عشر و قبيل الحروب الصليبية مباشرة.

و هذا أدى إلى تماسك الوضع نسبيا في ألمانيا و إن كان هناك خلاف خطير نشأ بين هنري الرباع و البابا في روما، كما ذكرنا سابقا، و في انجلترا الملك هووليم الفاتح و لكن وضع انجلترا الاقتصادي كان سيئا جدا مما جعلها مشغولة تماما بنفسها، أما الدويلات النصرانية في شمال الأندلس فكانت تبذل كل طاقتها في حرب المسلمين هناك[2] .

وتأتي القوة العسكرية الأخيرة في غرب أوروبا متمثلة في ايطاليا، و كانت في الواقع قوة كبيرة خاصة في المناطق التي يسيطر عليها النورمانديون في جنوب ايطاليا و بالذات بعد ظهور الزعيم روبرت جويسكار الذي كانت له أحلامه التوسعية هائلة وصلت إلى حروب مباشرة مع الدولة البيزنطية.

وقد استطاع هذا القائد أن يسقط البلقان البيزنطية تحت سيطرته بل و يبذل أولى المحاولات لاحتلال انطاكية، التي كانت في حوزة البيزنطنيين ثم المسلمين و كان يبذل هذه المحاولات هو ابنه شخصيا وهو الأمير بوهيموند الذي سيكون بعد ذلك أحد أمراء الحملة الصليبية الأولى.

كما صاحب ظهور هذه القوة الايطالية المتنامية نموا سريعا لأسطول بحري عسكري لميناء البندقية الايطالية، وصار له أثر مباشر في تغيير سير الأحداث في الحوض البحر الأبيض المتوسط بكامله.

إذن فالوضع السياسي في أوروبا كان يضم عدد كبير من العسكريين المتصارعين و المتنافسين على تقسيم البلاد عليهم، و لما كانت أوروبا ضيقة و طبيعتها الجبلية و الثلجية معوقة كل التفكير في التوسع خارج أوروبا[3].

---

[1]-المرجع نفسه، ص 62.

[2]-سهيل زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1972، ص 71.

[3]-المرجع السابق، ص 71،72.

رابعا: الخلفية الاجتماعية

لم تكن الشعوب الأوروبية في ذلك الوقت شعوبا مستقرة بل كانت تعيش حياة البدو الرحل حيث ينتقلون من مكان إلى مكان سعيا وراء الطعام أو الأمن ووهذا أدى إلى عدم وجود روح الاستقرار و التمسك بأرض معينة و لعل هذا سهل كثيرا على أناس أن يتركوا أوروبا بكاملها و يتجهون إلى فلسطين بحثا عن نظام حياة أفضل و أسعد[1] .

و كان الفلاحون في أوروبا يعانون بطش أمراء الإقطاع ولم يكن للفلاحين أدنى الحقوق، بل كانوا يباعون مع الأرض ويستغلون تمام الاستغلال لجلب الرفاهية لمالك الإقطاعية، و هذا ولد عندهم شعورا بالحقد تجاه ملاك الأراضي و ملاكهم ولكن لم يكن لهم فرصة و لا حتى حلم في الخروج من أزمتهم، و فوق هذا الأمر الذي كانت تعيشه معظم الشعوب، فإن الجهل كان مطبقا على الجميع و كانت الأمية طاغية و لم يكن هناك أي ميل للعلوم، و هذه الحالة المختلفة جعلت من السهل جدا السيطرة عليهم بأية أفكار و دوافع ،و لم يكن عندهم من القدرة العقلية و الذهنية ما يسمح لهم تحليل الافكار المعروضة عليهم أو ما يمكنهم من الاختيار بين رأيين متعارضين و هذا كله و لا شك سهل مهمة إقناعهم بترك كل شئ والتوجه للحرب في فلسطين[2] .

هذه الخلفيات التي بين أيدينا وضحت لنا أن المجتمع الأوروبي كان مكونا من طوائف شتى، دينية و سياسية و اقتصادية وشعبوية و كل هذه الطوائف لها أهدافها و مطامعها تصغر وتكبر بحسب حجمها.

المبحث الثاني: أوضاع مصر والشام قبيل الحملات الصليبية

1-أوضاع مصر قبيل الحملات الصليبية:

السياسية

-الصراع بين الدولة الفاطمية و الخلافة العباسية

عندما قامت الدولة العبيدية في المغرب على يد مؤسسها عبيد الله المهدي، حيث بويع له بالخلافة في سنة (297هـ - 909م) فكانت هذه أول مرة يكون فيها للمسلمين خليفان في آن واحد، ففي الوقت الذي بويع لعبيد الله المهدي بالخلافة[3] كان في بغداد الخليفة العباسي المقتدر بالله (295 هـ _907م)، مما أثار غضب الخلفية العباسي المقتدر [4] و كان عبيد الله المهدي يرى أنه أحق بالخلافة من خلفاء بني العباس المعاصرين له بالمشرق، وهو أول من زاحم الخليفة في هذا اللقب ثم تبعه

[1]-عاشور سعيد عبد الفتاح، أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة، الجزء 1، 1966، ص 236.

[2]-راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية، ص 48،49.

[3]-الخطيب البغدادي ، احمد بن علي ابو بكر(ت1070/463)، تاريخ بغداد ،جزء 7 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 1213-

[4]-ابن التغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي (874_1469) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، ج1، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، مصر ، ص177

على ذلك عبد الرحمن الناصري الأموي *[1] صاحب الأندلس، و من هنا بدأ الصراع بين الدولتين الفاطمية في مصر و الخلافة العباسية في بغداد.

لقد كان العداء كبيرا بين الدولتين سالفتا الذكر، حيث أن الفاطميين انتزعوا بلاد المغرب و مصر و بلاد الشام و الحجاز من أيدي العباسيين حتى بغداد زاحموهم فيها، فوجد العباسيون في الطعن في نسبهم سبيلا للحد من انتشار دولتهم [2] و فيما يبدو أن محور الصراع بين الخلافة العباسية و الدولة الفاطمية يرتكز في الأساس على الزعامة الدينية للعالم الإسلامي و الصراع في هذا الميدان لم يكن يقل ضراوة عن باقي أوجه الصراع، ففي سنة (402هـ_1011م) كتب الخلفية القادر العباسي محضرا في نسب الخلفاء المصريين الفاطميين و القدح في أنسابهم و عقائدهم و قرئت هذه النسخ ببغداد[3] ، و كتب هذه لمحاضر علماء بغداد و أئمتها، حيث تضمنت الطعن و القدح في نسب الفاطميين ملوك مصر و إنما نسبهم إلى عبيد بن سعد الجرمي وكتب في ذلك جماعة من العلماء و القضاة و الأشارف والعدول الصالحين و الفقهاء و المحدثين و شهدوا جميعا أن الحاكم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم، ليس له نسب بالإمام علي بن أبي طالب وأن من تقدم من سلفه خوارج لا نسب لهم[4] .

وجاء في نص الكتاب "و أن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفار فساق ملحدون زنادقة معطلون و للاسلام جاحدون ، ولمذهب الماجوسية و الثنوية معتقدون قد عطلوا الحدود ووأبادوا الفروج و أحلوا الخمر و سفكوا الدماء و سبوا الأنبياء و لعنوا السلف و ادعوا الربوبية [5].

إن العلاقة التي تربط العباسيين بالعبيدين علاقة أشبه ماتسمى ب(الحرب الباردة)، فقد طغت الطموحات السياسية للعبيديين والمتمثلة ببسط نفوذهم السياسي و الروحي على العالم الإسلامي نشر مذهبهم الشيعي الاسماعيلي على طبيعة العلاقة بين الدولتين، حيث شكلت الخلافة العباسية عائقا استراتيجيا بوجه الطموح السياسي الخارجي للعبيديين[6] .

---

[1]-عبد الرحمن بن مُحَّد بن عبد الله بن مُحَّد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن وهو اول من تسمى بأمير المؤمنين من بني أمية بالاندلس ولد سنة (277\ 890) تولى الخلافة سنة (300\ 912) و حكم خمسون سنة و نصف فلم يحكم قبله أي خليفة مثل هذه المدة حيث مات في سنة (350\961). الذهبي، سير اعلام النبلاء ، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مُحَّد نعيم العرقوسي، ج15 ، طبعة9 ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1413، ص 269

[2]-المقريزي ، احمد بن علي بن عبد القادر بن مُحَّد تقي الدين ،(ت 845\1441)، وزارة الاوقاف ، مصر ، 1996، ص 345.

[3]-ابن التغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ص229

[4]-ابن الكثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي (ت774\1372) ، البداية والنهاية ، ج9 ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ص 345 ، 346

[5]-ابن الكثير ، البداية و النهاية ، ج9، ص 34

[6]- العامري ، السياسة الخارجية لدولة الفاطمية، ص 79.

-الدولة الفاطمية و صراعاتها الداخلية

إن بداية هذا الصراع في الدولة العبيدية بدأ بين الحاكم بأمي الله و اخته ست الملك ، حيث وقعت بينهما وحشة بعد أن اتهمها في شرفها . فتآمرت عليه مع أحد القادة،و يدعى ابن دواس على قتله .فقتله ابن دواس [1] في سنة (1020/411) و تمت البيعة لابنه الصغير بعد أيام و لقبته الظاهر لإعزاز دين الله ثم تأمرت على ابن دواس فقتلته جماعة ممن اطلع على سرها، فعظمت هيبتها[2] .

في سنة (1013\404) جعل الحاكم بأمر الله ابن عمه أبا القاسم عبد الرحمن بن الياس و لي عهده قيل ان اسمه إلياس و قيل عبد الرحيم و قيل عبد الرحمن بن أحمد و كنيته أبو القاسم و يلقب بالمهدي، و عندما الحاكم بأمر الله كان من دمشق، فكتبت له ست الملك بالقدوم و رتبت من قام باعتقاله و أودعته في أحد القصور بتنيس و قبيل موتها بثلاثة أيام أمرت بقتله فقتل[3] .

لما مات الظاهر لإعزاز دين الله في سنة (427 - 1035) تولى الأمر بعده ولده أبو تميم معد المستنصر بالله وعمره سبع سنين و شهران و أخذت البيعة له بعد أبيه في شهر شعبان من السنة نفسها، و في أيامه ثارت من بني حمدانو أكابر القواد والوجوه العسكرية و غلت الأسعار و قلت الأقوات و اضطربت الأحوال و حصر في قصره و طمع في خلعه لضعف أمره [4].

لم تشهد فترة حكمه استقرارا سياسيا فلقد تعاقب على الوزارة في عهده العديد من الوزراء[5]، مع عدم الاستقرار السياسي السياسي الذي مرت به الدولة العبيدية في مصر، قرر الخليفة العبيدي المستنصر بالله تولية الوزارة لبدر الدين الجمالي حاكم مدينة عكا ، و كان المستنصر قد كتب إليه سرا ليقدم من عكا فأعاد الجواب أن الجند بمصر قد فسد نظامهم، فإن شئت أتيت بجند معي فأذن له أن يفعل ما أحب فجلب معه جنده و رجاله فتولى الوزارة[6]، و صار وزير السيف و القلم وولي

---

[1]-ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت 597\1200) ،المنتظم في تاريخ الملوك و الامم ،ج15، طبعة1، دار الصادر ، بيروت ، ص140 ، 142

[2]-المصدر نفسه ، ج15، ص 184 ، 186

[3]-ابن التغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج4، ص ،193، 194

[4]-ابن القلانسي ، ابو يعلي حمزة بن اسد (ت 555\ 1160) تاريخ دمشق لابن القلانسي ، تحقيق: سهيل زكار ، دار حسان للطباعة و النشر، طبعة 1، دمشق ، 1403-1983 ص 55

[5]- النقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج 2 ، ص 332.

[6]-الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748/ 1347) ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق: شعيب الارناؤوط ، محمد نعيم العرقوسي ، ج15 ، ط 9 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1413 ، ص 193

القضاء و أول شئ فعله قام بقتل كل أمراء الطوائف في ليلة واحدة، فما أصبح إلا وقد مهد البلد و صار كل أموالهم و نقلها إلى قصر المستنصر بالله وقتل أمير الأمراء الدكز و الوزير ابن كدينة[1].

لما توفي المستنصر بالله جلس بعده ولده أبو منصور نزار *[2]و هو ولي العهد وأراد أخذ البيعة لنفسه، فامتنع أمير الجيوش من ذلك لكرهه له و اجتمع بالأمراء و الخواص و قال لهم : إن هذا كبير السن و لانأمنه على نفوسنا و المصلحة أن نبايع لأخيه الصغير القاسم أحمد، فوافقوه على ذلك و بادر الأفضل على دكة الوزارة بادر نزار و أخوه عبد الله و محمود بن مصال إلى الإسكندرية و عليها ناصر الدولة أفتكين التركي ، أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالي فعرفوه الحال ووعدوه بالوزارة فبايعه و بايعه أهل الثغر و لقب بالمصطفى لدين الله،[3] فخرج لهم أمير الجيوش بجيشه و التقوا و اقتتلوا قتالا شديدا، فكانت الهزيمة لأفضل و من معه ثم خرج الأفضل ثانيا و حاصر الإسكندرية و دخلها بعد أن طالبوا الأمان فأمنهم ثم اعتقلهم و قتل أفتكين التركي و انقطعت أخبار نزار في حبسه[4].

–الثورات و الفتن في مصر زمن الدولة الفاطمية:

في سنة (395/ 1004) خرج رجل يدعى أبو ركوة و ادعى أنه الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الأموي وفي سنة (397/ 1006) سيطر على مدينة برقة[5].

وتلقب بالثائر بأمر الله و المنتقم من أعداء الله ثم سيطر على الصعيد، و بعد هذه الهزائم التي لحقت الدولة العبيدية و أصبحت الحرب قريبة من دار خلافتهم حشد الحاكم بأمر الله العبيدي قواته، حيث استجلب قوات إضافة من الشام و أمر على هذا الجيش رجل يعرف بالفضل بن عبد الله فانهزم أبو ركوة وأسر وحمل إلى القاهرة وقتل وانتهى أمره[6].

و من الفتن و الثورات حدثت في عهد الحاكم بأمرالله العبيدي، حيث أنه هو من افتعلها و أجج نارها، وذلك حينها كتب له أهل مصر كتابا جعلوه في يد تمثال امرأة من قراطيس حيث استعظم مافيه من سب و شتم.

---

[1]– المصدر نفسه ، ص 193 . 194

[2]– هو ابو المنصور نزار بن المستنصر معد بن الظاهر علي بن الحاكم منصور بن العزيز بن المعز العبيدي المهدي المصري ، كان ولي عهد ابيه فمنع عن تولي الخلافة فهرب الى الإسكندرية ثم سجن ومات في سجنه واليه تنسب الدولة النزارية ومن دعاته الحسن الصباح صاحب قلعة الموت ، المصدر نفسه ، ج15 ، ص 197، 198

[3] –المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3 ، ص 11. 13

[4]–الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج 15 ، ص 19

[5]–ابن الكثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم (ت: 630/ 1232) ، الكامل في التاريخ، تحقيق : عبد الله القاضي ، ج1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1415 ، ص 38

[6]–المصدر نفسه، ج1، ص 46.

فعاد إلى قصره جمع قادته و أمرهم بالمسير إلى مصر "القاهرة" و حرقها و نهبها و قتل كل من ظفر به من أهلها، فتوجه إلى العبيد و الروم و المغاربة و جميع العساكر و عرف المرصريون ذلك فقاتلوا عن نفوسهم قتالا بلغوا غاية وسعهم و أضرمت النار في أطراف البلاد، و استمرت الحرب بين العبيد و العامة و الرعية ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع اجتمع الأشراف والشيوخ إلى الجوامع و رفعوا المصاحف و ضجوا بالبكاء و ابتهلوا إلى الله بالدعاء فرحمهم الأتراك و انحازوا إليهم و قاتلوا معهم ضد العبيد، و استمرت الحرب حتى تدخل الحاكم بأمر الله و أمر عبيده بالكف عن القتال[1].

جمع الحاكم بأمر الله جميع الأطراف المتحاربة و حلف لهم كذبا بأنه لا علم له بما حدث و كتب لأهل مصر كتابا بالأمان قرئ على المنابر، ففتحت الأسواق و أعاد الناس إلى بيوتهم و احترق من مصر مقدار ثلثها و نهب نصفها و تتبع المصريون من أخذ أزواجهم و بناتهم و أخواتهم و ابتاعوهن من العبيد، بعد أن فضحوهن وقتل بعضهن نفوسهن خوفا من العار[2].

و من الفتن ماحدث في عهد الظاهر لإعزاز دين الله سنة (415هـ – 1024م) من مجاعة و غلاء الأسعار وكثر الخوف في ظواهر البلد و كثر اضطراب الناس، وكثر ضجيج طوائف طوائف العسكر من الفقر و الحاجة و فشت الأمراض وكثر الموت في الناس و اضطراب الأمن و قطع الطريق على الحجاج و أخذ أموالهم و قتل بعضهم، و هاجمت العساكر مدينة الفرما ففر أهلها إلى القاهرة و نهبت الأرياف و كثر طمع العبيد ونهبهم ، وحدثت معهم مناوشات حيث عمل الناس فيها خنادق حول الدروب و على الأزقة و الشوارع فخرج العسكر و قاتلوا العبيد و طرحوهم و قبضوا على جماعة منهم ضربت أعناقهم[3].

و في سنة (463هـ – 1070م) وقعت الفتنة بين صفوف الجيش المصري عهد المستنصر بالله والده الظاهر، فاقتتلوا مدة فأصبحوا فرقتين ، فرقة العبيد مع عرب الصعيد و الفرق الأخرى تجمع كلا من الترك و المغاربة بقيادة ابن حمدان ، فالتقوا بكوم الريش فهزمهم ابن حمدان قتل نحو أربعين ألفا و استمرت الأحوال على هذا النحو حتى أرسل المستنصر إلى بدر الدين الجمالي لكي يرجع من عكا، ليتولى الوزارة كما سلفنا سابقا فلما قدم مصر سار إلى دمياط فهذبها و قتل الذين غلبوا عليها[4].

عليها[4].

ثم سار إلى الإسكندرية و أصلح أمورها ، يبدو مما سبق أن الدولة العبيدية كانت هي الأخرى منهمكة مما لاقته من أحداث، و فتن عصفت بها قبيل الغزو الصليبي للمنطقة و لم تكن أحسن حالا من الشام، غير أن مصر كانت موحدة تحت نظام واحد و لم تكن مقسمة الى دويلات كما هو حال الشام.

---

[1]– ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4،ص ص 181 ، 182

[2]– نفسه ، ص 183

[3]– المقريزي، المواعظ و الاعتبار، ج15، ص 192

[4]– الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج15 ، ص ص 192، 193

الأوضاع الاجتماعية و الدينية في مصر قبيل الحملات الصليبية:

كان أهل السنة يُكونون الفئة الكبيرة من المصريين المسلمين، بعد أن أقام الفاطميون خلافتهم في مصر، و استطاع دعاتهم أن ينشروا المذهب الفاطمي بين عدد من المصريين كانوا عونا لهم على فتح مصر[1].

لما دخل جوهر الصقلي قائد الخليفة المعز لدين الله الإسكندرية سنة 358هـ – 969م دون مقاومة و كتب أمانا أعلنه للمصريين تعهد فيه بإحترام المذهب السني أي المذهب الديني للمصريين، كما تعهد بتأمين المصريين عن أنفسهم وأموالهم . ظل جوهر الصقلي حريصا على مشاعر الناس في مصر و تدرج في عملية قلب البلاد الى بلاد شيعية و جعل ذلك على مراحل، بدأت بذكر اسم (الخليفة المعز) في الخطبة و انتهت بإقامة الشعائر الفاطمية في الصلاة والأذان بجامع (ابن طولون) سنة 359هـ – 970م، ثم جامع مصر العتيق (عمر بن العاص) و بقية الجوامع بعد ذلك[2].

لم يلتزم الفاطميون بعد انتقال المعز إلى القاهرة بكتاب الأمان الذي أعلنه جوهر الصقلي للمصريين، بل عملوا على تحويل المصريين إلى المذهب الشيعي، وقد أتبعوا عدة وسائل منها إسناد المناصب العليا و خاصة منصب القضاء إلى الشيعيين[3]، و كلف كبار الفقهاء الشيعة القيام بنشر الدعوة الفاطمية، و كان أحدهم يعرف بداعي الدعاة كان منهم عبد الله بن مُحَّد بن أبي ثوبان و علي بن النعمان، و اتخذوا هؤلاء المساجد الكبيرة مراكزا لبث الدعوة و هي مسجد عمرو بن العاص ومسجد أحمد بن طولون أو الجامع الأزهر و أمعن في إظهار الشعائر الدينية المخالفة لشعائر أهل السنة ،كالآذان بحي على خير العمل و الاحتفال باليوم العاشر من محرم وهو يوم عاشوراء و عيد الغدير من اليوم الثامن عشر من ذي الحجة و هو المعروف بحديث خم[4].

أدى إحياء هذه الشعائر الشيعية إلى سخط المصريين السنيين، لما كانت تؤدي إليه من اعتداءات الشيعيين و المغاربة عليهم، فقد حدث عند الاحتفال بعيد (غديرخم) فأثار المغاربة بإثارة الشغب و الاضطراب فإضطر الجوهر إلى الخروج بنفسه ليمنعهم من الاعتداء على أموال الأهالي[5].

كما أصاب المسلمين السنة الكثير من الضرر و الأذى بسبب إرغام الشيعة لهم على مشاركتهم في إظهار شعائرهم، ففي (العاشر من محرم 362هـ-973م) سار جماعة من المصريين و المغاربة الشيعة في موكب حزين و راحوا يعتدون على كل من لم

---

[1]– زبونة نادي مرسي، محاضرات من تاريخ و حضارة الدولة الفاطمية،ط1، دار الثقافة العربية، القاهرة ، ص161

[2]– عبد الله مُحَّد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها الى مصر الى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش،دار الثقافة العربية ، القاهرة، 1991، ص127 ، 128

[3]– زبونة نادي مرسي ، المرجع السابق، ص 160

[4]– مُحَّد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا و مصر و بلاد الشام، ط2، دار النقاش ، 2007، ص 219

[5]–زبونة نادين مرسي، المرجع السابق ، ص 161

يشاركهم في مظاهر الأسى و الحزن ، مما أدى إلى تعطيل حركة الأسواق وقيام القلاقل، لذا استمدت الدولة الفاطمية قوتها من قدرتها على الاستفادة من إمكانيات الأفراد المنتمين إليها من مختلف التكتلات العنصرية و الاجتماعية التي كانت تؤلف المجتمع المصري، فقد استعان الفاطميون بالعناصر الأجنبية من المغاربة و الأتراك و السودان و الأردن، كما استفادوا من خبرة أهل الذمة لاسيما الأقباط المتخصصين بالمسائل المالية ، و عهدوا إليهم بالوظائف الرئيسية في الدولة التي أبعد عنها المسلمون السنة و بسبب أرائهم الدينية ظل الفاطميون خلال حكمهم بمصر كحكومة أقلية منفصلة عن مجموع رعاياها مما أفقدهم تأييد الكثرة الغالبة من أهل السنة[1].

و من جانب آخر استخدم الفاطميون من مجيئهم إلى مصر أهل الذمة في إدارة شؤون البلاد و اكتظت دواوين الحكومة في العصر الفاطمي الأول بالموظفين من اليهود و النصارى، الذين شغلوا وظائف الدولة العليا، فكان منهم الوزراء والوسطاء و رؤساء الدواوين و الكتاب و تغلغل الموظفون من أهل الذمة و خاصة الأقباط في كافة الدواوين المالية و الإدارية[2]. قرب الفاطميون أهل الذمة و أظهروا لهم التسامح في كثير من الأحيان، كما استخدموهم في أهم شؤون الدولة، و كان النصارى يجمعون بين الكفاءة في إدارة الشؤون المالية و بين المهارة في إتقان الصناعة فنالوا في هذا عهد الثروة و المكانة و قد دفعت رغبة الكثيرين من الذميين في الحصول على الهبات و العطايا و المناصب إلى اعتناق المذهب الإسماعيلي[3].

استمرت سياسية التسامح نحو أهل الذمة منذ ذلك الوقت ولم يظهر الشعور العدائي نحوهم إلا في فترات قصيرة وخاصة حيث يتولى أحدهم منصبا كبيرا ،كما حدث في أوائل عهد المستنصر بالله الفاطمي[4].

ومجمل القول أن أهل الذمة تمتعوا بنفوذ كبير في خلافة المستنصر، وإذا كان قد أصابهم مكروه أو تعرضوا لأذى فقد كان ذلك في فترة الاضطرابات التي عمت البلاد في النصف الثاني من عهده[5].

2-أوضاع الشام قبيل الحملات الصليبية:

الأوضاع السياسية : الصراع مع الامبراطورية البيزنطية

ازدادت هجمات الروم في النصف الثاني للقرن الرابع للهجري، حيث تعاقب على عرش الإمبراطور البيزنطي عدد من القواد ذوي كفاءة نادرة[6]، في المقابل كانت الدولة الحمدانية هي من تتولى أمور الدفاع عن بلاد المسلمين في تلك الفترة.

---

[1]- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق، ص 218

[2]- سلام الشافعي محمود، اهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الاول، ط1، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص ص 27 ، 28

[3]- زبونة نادي مرسي، المرجع السابق ، ص 161

[4]- نفسه ، ص167

[5]- سلام الشافعي محمود، المرجع السابق، 41

[6]- ياقوت الحموي ، ابو عبد الله بن عبد الله الحموي، ت (626هـ- 1228م)، معجم البلدان ، ج2، دار الفكر ، بيروت ، ص 80.

في سنة 339هـ- 951م دخل سيف الدولة بن حمدان بجيش عظيم مكون من ثلاثين ألفا إلى بلاد الروم ، توغل فيها وفتح حصونا و قتل خلقا و أسر أمما و غنم شيئا كثيرا ثم رجع فقطعت عليه الروم طريق العودة فقتلوا معظم من معه ، و أسروا بقيتهم و استردوا ما كان قد أخذه و نجا سيف الدولة[1] في نفر يسير من أصحابه.

وأصل الروم عدوانهم فقد شنوا هجومهم هذه المرة على مدينة سروج في عام 341هـ /953م، و التي تمكنوا من احتلالها، فأحرقوا مساجدها وسبوا أهلها، و في سنة 343هـ غزا سيف الدولة بلاد الروم فجرت بينهم وقعة عظيمة انتصر فيها سيف الدولة و أسر سيف الدولة في هذه الواقعة قسطنطين ولد الدمستق*[2].

غزا سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم في سنة 345هـ-957م و فتح عدة حصون و أسر و أحرق و أكثر القتل فيهم ثم رجع، فلما سمع الروم بما فعل هاجموا أيضا وأحرقوا سوادها ونهبوه وخربوه وسبوا أهله ونهبوا أموالهم وعادوا [3].

أما الفاجعة الكبرى التي أصابت المسلمين فكانت عام 351هـ ، حين دخل الروم بقيادة الدمستق مدينة حلب بعد فرار سيف الدولة منها، و انتقال من تبقى من جنده في سرقة بيوت الناس في حلب و تركهم الدفاع عن السور المدينة ، فاستغل الدمستق ذلك، و دخل مدينة حلب دون قلعتها و التي تحصن بها بعض أهل حلب فقتل معظم من كان في المدينة من الرجال و خرب المدينة و انصرف[4].

و مع بداية سنة 381هـ بدأ الحال يتغير في بلاد الشام، حيث دخلت الدولة العبيدية في أتون المواجهة المباشرة مع الدولة البيزنطية حينما أرسلت جيوشها للسيطرة على الشام، بقيادة منجوتكين التركي الذي استطاع أن يسيطر على مدينة دمشق[5]، كما سيطر على حمص و حماة ثم توجه إلى مدينة حلب فحاصرها، و هزم جيوش الحمدانيين و جيوش الروم المتحالفين ضده ليسانده، لكنه لم يفلح في السيطرة على حلب و ذلك في سنة 384هـ - 995م.

و في مطلع سنة 422هـ ملَكَ الروم مدينة الرها و قتلوا المسلمين فيها و خربوا المساجد، كما سيطروا على مدينة فامية، و ملكوا قلعتها، و غنموا مافيها و أسروا و سبوا ثم استعاد المسلمون مدينة الرها من أيدي الروم في سنة 427هـ- 1036م[6].

---

[1]- ابن الكثير ، البداية و النهاية، ج 11، ص 223.

[2]- اسمه نقفوز و معنى الدمستق يلقب به نائب البلاد في شرقي القسطنطينية و لما قتل ملك الروم في عام (352هـ - 963م) اصبح نقفوز هو الملك الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15 ، ص 221

هنا خطا في التهميش

[3]- الهمذاني، أبو الفضل محمد بن عبد الملك بن ابراهيم (ت 521هـ - 1128م) ، تكملة تاريخ الطبري ، تح: ألبرت يوسف كنعان، ط1، ج1، المكتب الاسلامي، بيروت ، 1403، ص 166.

[4]- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج7، ص 257.

[5]-أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت 732هـ-1331) المختصر في أخبار البشر ط1، ج1، المطبعة الحسينية، مصر، ص 220.

[6]- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص 220.

وفي منتصف القرن 5هـ اجتاحت دولة السلاجقة بلاد المشرق الاسلامي، فغزت بلاد الروم سنة 456هـ حيث سيطروا الفاتحون الجدد على العديد من المدن و الحصون الخاضعة تحت حكم الدولة البيزنطية، و هذا ما دفع ملك الروم إلى أن يهاجم مدينة منبج فنهبها و قتل أهلها و ذلك سنة 462هـ، و في السنة الموالية حشد ملك الروم جموع كثيرة بلغ تعدادهم مائتي ألف، وقصد بهم بلاد المشرق الاسلامي فوصلوا إلى دلاذكرد، و خرج اليهم السلطان ألب أرسلان في من معه حيث بلغ تعداد جيشه عشر ألف جندي فهزم الروم ملكهم[1].

فكانت هذه المعركة بمثابة نهاية عصر القوة للامبراطورية البيزنطية، استطاع المسلمون بعدها إستعادة مدينة منبج في سنة 468هـ على يد نصر بن محمود بن صالح *[2] التي سقطت في يد الروم سنة 460هـ[3] ، لقد نشت الدولة البيزنطية معارك وحروبا كثيرة على بلاد الاسلام، حيث كان الهدف من هذه الحروب في مجملها هو الانتقام أو الحصول على مكاسب مادية أو لإضعاف و إخضاع العدو التقليدي من دويلات العالم الإسلامي المحيطة بهم، وهذا هو الفارق بين هجمات الدولة البيزنطية والحملات الصليبية التي اجتاحت العديد من مدن الشام و التي كان الهدف منها استيطاني بحت.

و من جانب آخر فقد عانت بلاد المشرق الاسلامي من هجمات الروم المتكررة على بلادهم، حيث كبدتهم العديد من الخسائر البشرية و المادية على السواء، مما سيكون له بالغ الاثر على قوة الشام و صمودها في مواجهة الحملات الصليبية.

2- سيطرة القرامطة على الشام

بعد القضاء على القرامطة وطردهم من الشام سنه (293هـ 905م) عادوا إلى ظهور و الفساد مرة أخرى سنة (353هـ 964م)، وقد هاجم القرامطة مدينة طبريا سنة (353هـ 964م)، وحاولوا أن ياخذوها من أيدي الاخشيد صاحب مصر والشام، وطلبه من سيف الدولة أن يمدهم بحديد يتخذون منه سلاحا فأرسل إليهم ما طلبه[4].

في سنة (357هـ 967م) سيطر القرامطة على مدينة دمشق ثم عادوا إلى دمشق سنة (360هـ 970م) استولوا عليها من العبيديين، حيث أن أمر دمشق قد آل من قبل للعبيديين[5]، وقد تلقى القرامطة الدعم من عز الدولة باختيار البويهي في أثناء مسيرهم صوب دمشق وبعدما بسطوا سيطرتهم على دمشق توجهوا صوب مدينه الرملة فاحتضنوا فيها، حيث حاصرهم القرامطة ثم زحف القرامطة إلى مصر، وتواجهوا مع جيش العبيديين في منطقة عين شمس بمصر، وكان القرامطة أن يهزموا جيش

---

[1]- نفسه، ج8، ص ص 368 ، 370.

[2]- نصر محمود بن نصر بن صالح بن مرداس تولى حلب بعد موت أبيه سنة (467هـ ، 1074م) و قتل بعد سنة على يد الاتراك . الذهبي ، العبر في خبر من غبر، تح : صلاح الدين المنجد، ط2 ، ج1، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ، 1984، ص 268.

[3]- نفسه، ج8، ص374.

[4]- ابن الكثير، البداية و النهاية، ج11 ، ص 254

[5]- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7 ، ص326

العبيديين إلا أنهم هزموهم ورجعوا إلى الرملة[1]، وكانت هذه معركة سنة (363هـ 973م)، وعندما أرسل العبيديون جيشهم في الملاحقة القرامطة استطاعوا أن يطردوهم من الرملة في السنة نفسها ما لبث القرامطة أعادوا إلى الرملة في سنة (365هـ 975م)، حيث ضربوا الحصار على مدينة الرملة ودخلوا في مواجهات مع حاميتها فأرسل العبيديون جيشهم بقيادة جوهر استقلي لقتالهم، استمر القتال بينهم وانتهى بسيطرة العبيديين على الرملة (368هـ 978م)، حيث سيطر العبيديين على الشام وانتهى أمر القرامطة فيها[2].

بعد ذلك خرج رجل يعرف بالأصفر من بني المنتفق سنة (378هـ 988م)، استطاع هذا الرجل أن يجمع جمعا كثيرا من الناس، فهاجم القرامطة وقتل كبيرهم وهاجمهم في مدينه الأحساء والقطيف فقتل العديد منهم حتى ضعف أمرهم، وكانت مدة ظهور مذهبهم إلى هذا التاريخ مائة سنة، فلم يكن لهم أي معركة تذكر بعدها[3].

سيطرية العبيدية على الشام:

في العام الذي أخذ فيه العبيديون مصر وجهوا جيشا إلى الشام، حيث استطاع العبيديون ضم مدينة الرملة وذلك سنة (358هـ_968م)، ودخلت مدينة طبرية في السنة نفسها في طاعة العبيدين ملكوا دمشق في سنة (359هـ969م)[4].

وبهذا يكون العبيديون قد سيطروا على أعمال دمشق وطبرية وفلسطين وأيضا سيطروا على مدينة طرابلس في سنة (364هـ974م)، وبسط العبيديون سيطرتهم على العديد من المدن الشام الساحلية مثل صيدا و عكا و يافا و صور[5]. اتسعت رقعة الدولة العبيدية ففي سنة (372هـ982م) استطاع العبيدين[6] ضم مدينة حمص بعد أن دخل حاكمها يكجور* في طاعة العبيدين ، وضموا أيضا مدينة دمشق سنة (468هـ107م) حيث انتزعها منهم السلاجقة.

سيطرة الدولة السلجوقية على الشام وتفككها إلى دويلات:

توسعت الدولة السلاجقة في عهد مكشاه كثيرا، واستطاعت الدولة السلجوقية ضم العديد من المدن الشامية، وسوف أتطرق إلى أهم الدويلات التي قامت في بلاد الشام، في سنة(471هـ1078) وصل تتش بن ألب أرسلان مدينة دمشق

---

[1]- الهمذاني ، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص ص 226 ، 227

[2]- ابن الاثير، المصدر السابق، ج7، ص 327

[3]- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، ت (733هـ- 1332م)، نهاية الارب في فنون الادب، تح: مفيد قمحية و جماعة ، ط1، ج25 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2004- 1424، ص 192.

[4]- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7 ، ص ص 309، 319

[5]- الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15 ، ص 368

[6]- ابن القلانسي، تاريخ دمشق ، ص 18

وتسلمها بعد أن كلفه أخوه مكشاه بولايتها، بدا تشش ببسط سيطرته على المدن الشام، فسيطر على مدينة حلب ،كما سيطر على طرطوس وغيرها وذلك في سنة (474هـ1081م)[1]، وتسلم مدينة حمص في سنة(483هـ1090).

كما دخل تشش في مواجهة مع ابن عمه سليمان بن قتلمش ، صاحب إمارة سلاجقة الروم، عند أبواب حلب حيث انهزم سليمان بن قتلمش وقتل، وذلك سنة (479هـ1085) وبعد وفاة أخيه السلطان مكشاه طمع تشش في الأمر بعده[2]، فاستولى على العديد من المدن حيث سيطر على مدينة حلب، بعد أن قتل حاكمها "أق سنقر" وذلك في سنة (487هـ 1094)، وزحف باتجاه الشرق فقطع نهر الفرات واستولى على كل مدينة مر بها فأخذ مدينة حران.

وسار إلى الرها فتسلمها، وتسلم ديار بكر ، ودخل تاج الدولة تشش الري وملكها في محرم سنة (488هـ1095) وخطب على منابر الاسلام في الشام والفرات وبغداد، في السنة نفسها تواجه تشش بن ألب أرسلان مع ابن أخيه بركيارق بن مكشاه الذي بويعه له بالسلطة بعد وفاة أبيه فانهزم تشش وقتل في المعركة[3].

وبموت تشش اقتسم ولداه دولته فتسلطن بعده في حلب ابنه فخر الملوك رضوان وتسلطن بدمشق ابنه دقاق الملقب شمس الملوك ، ولقد كان تشش من الأبناء أيضا أبو طالب وبهرام ، والذين قتلا على يد أخيهما رضوان، أما الإبن الخامس

لتشش فكان ارتاش والذي تم اعتقاله من قبل أخيه دقاق، وأطلق سراحه بعد موت أخيه دقاق وتسلم حكم دمشق في سنة(497هـ1103)[4].

بدأ الصراع بين الأخوين رضوان ودقاق وتوالت المحاولات كليهما في السيطرة على الأملاك فنشب صراع بينهما وخلافات ففي سنة(489.1095)، حاول رضوان السيطرة على دمشق بعد غياب أخيه دقاق ولكن محاولته باتت بالفشل، ثم حدد رضوان هجومه على دمشق سنة (490.1096)، ولكنه لم ينجح هذه المرة أيضا وردا على هجمات رضوان قام دقاق بحشد قوته واصطدم مع أخيه في معركة كانت الغلبة فيها لرضوان سنة (495.1096)، واسفرت هذه الحرب عن عقد اتفاق بين الطرفين[5].

ويتضح مما يبق أن الدولة السلجوقية في الشام تمزقت بين ابني تشش رضوان في حلب ودقاق في دمشق، وشغل الأخوان في بداية امرهما بالحفاظ على أملاكهما من جهة وإعادة وحدة إلى بلاد الشام، من جهة أخرى من خلال انتزاع كل منهما

---

[1]- بكجور التركي، الأمير أبو الفوارس، مولى سيف الدولة بن حمدان ولي امارة حمص ، ثم ولي دمشق للعزيز العبيدي، فجار و ظلم و صار، قتل بنواحي حلب في سنة (381هـ – 991م)، الذهبي ، شمس الدين محمد ابن احمد بن عثمان ،ت (748هـ – 1347م)، تاريخ الاسلام و وفيات المشاهير و الأعلام، تح: عمر عبد السلام تحمري ، ط1،ج 32، دار الكتب العربي ، بيروت ، 1407- 1987، ص ص 29، 30.

[2] – الذهبي ، تاريخ الاسلام، ج32، ص ص6 –11

[3]- ابن القلانسي، تاريخ دمشق ، ج1، ص71

[4]- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص11

[5]- المصدر السابق، ج1، ص78، 79

الأملاك الأخرى وضمها الي أملاكه، وبهذا تكون العلاقة قد اتسمت بين الأخوين بالعدائية كما سلفنا سابقا، وفي ظل هذا التمزق السياسي والصراع العسكري على السلطنة في بلاد الشام وصلت طلائع الحملات الصلبية في سنة(1097.491)[1] وبلاد الشام على هذا الحال.

أقبل الغزاة الصليبيون إلى بلاد المشرق الاسلامي، كانت أحواله السياسية على هذا النحو المناكفات السياسية والصراعات العسكرية، والتي أضعفت بلاد الشام وتشتت قواها وجعلتها منكهة عسكريا ومفككة سياسيا، ومقسمة إلى دويلات وإقطاعات بين الملوك الأمراء، مما سيسهل على الغزاة الصليبين التفرد بها واحدة بعد أخرى.

المبحث الثالث: دوافع الغزو الصليبي

بعد استعراض خليفة أوروبا التاريخية وخلفية البابا الفكرية وللجهود التي بذلت وللجموع التي استجابت للدعوة، نستطيع أن ندرك البواعث الحقيقية لهذه الحملة الصليبية.

إن العديد من قراء تاريخ الحملات الصليبية يجعل الدافع وراء الغزو الصليبي سببا واحدا معينا أو رئيسا، ويمكن حصره في السبب الديني فقط مما يجعله يجهل ما دونه من أسباب ودوافع، وهذا ينافي الواقع الذي تعمقنا فيه سابقا وينافي خروج هذا الشتات من حيث يمثلون عدة طبقات من المجتمع الأوروبي، وعدة بلاد مختلفة وعدة أمراء وزعماء، وعدة لغات ولهجات وعدة مستويات اجتماعية.

هذا التنوع لا يدع مجالا للشك أنه ليس هناك دافع واحد جمع كل هذا الشتات، إنما هي دوافع مختلفة وبواعث متعددة وقد أفلحت الكنيسة في الضرب على كل وكر حتى يقنع الجميع بالخروج في رحلة واحدة وهدف واحد، وهذه الدوافع تضم ما يلي:

أولا: الدافع الديني:

كان الدافع الديني من الأسباب الرئيسية التي دفعت بالجموع الصليبية إلى قلب المعركة فقد كان شعار الحروب الصليبية، ومما يظهر أهمية الجانب الديني أنهم قد وضعوا إشارة الصليب على أسلحتهم والأمتعة الخاصة بهم[2].

وكما يؤكد القرآن الكريم والسنة المطهرة أن الحرب أبدية بين الاسلام وحتى يرفضه ولن يقنع الكثير من الناس بالتعايش السلمي مع الاسلام، حتى لو مد الاسلام يديه لتصافح لذلك فليس مستغرب أن يسعى البابا أو ربان الثاني لحرب المسلمين حتى دون وجود مبررات معينة تدفع لهذه الحرب، فهم مسلمون وهذا في حد ذاته يكفي أن يكون سببا في حربهم، وقد تكررت

[1]–ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص 13.

[2]–الصلابي، علي محمد محمد، الجذور التاريخية للحروب الصليبية، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008، ص28.

في كلماته ألفاظ توحي بعدم اعترافه بالاسلام أصلا كإطلاق لفظ الكفار أو الوثنيين على المسلمين، وعلى ذلك فالدافع الديني واضح عند البابا ولاشك أنه واضح أيضا عند بعض القساوسة والرهبان، كما أنه واضح أيضا عند بعض الأمراء والقواد.

كما كان الهدف المعلن للحملة هو إنقاذ الدولة البيزنطية من المسلمين، كان السبب المتداول بين الناس إضافة إلى دعاء البابا أن المسلمين يضطهدون الحجاج المسيحيين، وإن كان واضحا أن هذا الادعاء ما ذكر إلا للتحريض فقط والاستهلاك المحلي في أوروبا فقط[1]، لتحميس الجيوش والشعوب النصرانية لأنه لم يثبت أبدا أن المسلمين اضطهدوا الحجاج النصارى، وقد ذكر أحد كبار المؤرخين الأوروبيين وهو فاسيلييف أن المسيحيين بوجه عام تمتعوا بقسط وافرض من الحرية الدينية وغير الدينية في ظل الحكم الاسلامي، فلم يسمح لهم فقط بالاحتفاظ بكنائسهم القديمة، وإنما سمح لهم أيضا بتشييد كنائس جديدة جمعوا في مكتباتها كتبا دينية متنوعة في اللاهوت[2].

وتثبت العديد من الشهادات وغيرها بما لا يدع مجالا للشك أن كلام البابا أوربان الثاني عن اضطهاد المسلمين للحجاج المسيحين، ما هو إلا افتراء لا أصل له وتغطية مكشوفة على الدوافع وراء هذه الحملة العنيفة.

حيث يؤكد المؤرخ تومبسون: "إن المسيحيين الذين خضعوا لحكم السلاجقة صاروا أسعد حالا من إخوانهم الذين عاشوا في قلب الإمبراطورية البيزنطية ذاتها".

وإن كلام بطريرك القدس ثيوديوس شخصيا في إحدى رسائله إلى بطريرك القسطنطينية سنة 255هـ-869م امتدح المسلمين وأثنى على قلوبهم الرحيمة وتسامحهم المطلق، حتى إنهم سمحوا للمسيحين ببناء مزيد من الكنائس دون أي تدخل في شؤونهم الخاصة، وقد ذكر بطريرك القدس في رسالة حقيقية مهمة حين قال: "إن المسلمين قوم عادلون ونحن لا نلقى منهم أي أذى أو تعنت".

ولم يلاحظ في سلوك المحاربين في هذه المعارك أي علامات للزهد والورع الذي يتصف به المتدينون، بل كانوا في غاية السفاهة والحمق، وبلغوا الذروة في الشر والاجرام، بل إنهم يتصفوا بذلك فقط عند تعاملهم مع المسلمين بل كذلك عند تعاملهم مع النصارى الشرقيين، وسنرى طرقا من هذا السلوك المقيت في أكثر من موضع من مواضيع هذه القصة، سواء نصارى المجر والنمسا وبلغاريا أو مع نصارى القسنطينية ذاتها التي زعموا أنهم جاءوا لانقاذها[3].

إذن كان الباعث الديني موجودا ولكنه ليس هو الدافع الوحيد، بل لا ينبغي أن يضخم كثيرا فعموم الحملة الصليبية لم يكن يعنيهم الدين لا من قريب ولا من بعيد، وإن كانوا جميعا يضعون شارة الصليب على أكتافهم ويدعون أنهم يريدون المغفرة.

---

[1]-سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ص 30.

[2]-راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية، ص 62.

[3]-المرجع السابق، ص 63.

ثانيا: الباعث الاقتصادي:

ويعد هذا الدافع من أهم الدوافع في الحملات الصليبية، فالجموع الهائلة من العامة خرجت لإحباطها التام من الحصول على أي قسط من رغد الحياة في أوروبا، فخرجوا يبحثون عنها في فلسطين وهم لن يخسوا شيئا فحتى الموت أفضل من حالتهم البائسة تحت نير الاقطاعيين والملوك[1].

والأمراء الإقطاعيون ما خرجوا إلا بغية الثراء والتملك، وقد كانت الحرب في فلسطين فرصة للكثيرين من أمراء أوروبا لتحقيق طموحات استحال عليهم تحقيقها في أوروبا لأن القانون الأوروبي آنذاك، كان يمنع تقسيم الميراث على كل الأبناء، بل كانت تنتقل الإقطاعية بكاملها إلى الابن الأكبر بعد وفاة الأب الأمير، وذلك حتى لا تتفتت الثروة ونقل الأرض، وبالتالي تسقط الهيبة والكلمة، وهذا الوضع خلق جيلا من الأمراء لا أمل عندهم في التملك، فلما فتحت أمامهم أبواب الحرب في فلسطين سارعوا جميعا للحصول على أي ملكية لينافسوا بذلك إخوانهم الكبار.

وكان هذا الدافع الاقتصادي واضحا أيضا عند تجار الموانئ الايطالية وأشهرها البندقية وبيزاوجنوة وكذلك تجار مرسيليا الفرنسية وغيرهم من تجار أوروبا، فقد رأى هؤلاء التجار أن الفرصة لتحقيق المصالح الذاتية لهم، ولو على حساب البابوية والكنيسة، وكان تبادل المصالح واضحا جدا بينهم وبين الكنيسة، فالصليبيون لن يستطيعوا الاستغناء أبدا عن معونة الأساطيل البحرية والتجار سوف يأخذون مقابلا سخيا نظير هذه المعونة، ولم تكن الامتيازات تشمل فقط التجارة في البلاد المفتوحة بل كانوا يعطون في مدينة تفتح شارعا وسوقا وفندقا به حمام ومخبزا خاصا، وكان التنافس بين الجمهوريات الايطالية في هذا المجال كبيرا جدا، بل كان التصارع والتقاتل وما لبثت مرسيليا أن سارت على نهجهم وتنافست معهم وأخذت امتيازات قوية في بيت المقدس ذاته[2].

ولا يخفى على أحد أن النوايا الدينية لم تشغل أبدا أذهان هؤلاء التجار الجشعين، وكانت خيرات الشرق وأراضيه هي الباعث الأكبر لهم على بذل كل الجهد لإنجاح الحملة الصليبية.

ثالثا: الباعث السياسي

كان هذا الباعث باعثا رئيسيا عند البابا أوربان الثاني شخصيات وكذلك عند ملوك أوروبا، وهؤلاء الملوك لم يكن طموحهم يقف عند شيء، وكانت قوة كل ملك فيهم ترتبط بالمساحة التي يسيطر عليها، وهذا ما دفعهم بعد ذلك للمشاركة بقوة في الحملات الصليبية عندما شاهدوا النجاحات التي تحققت من قبل.

---

[1]-سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ص 36.

[2]-سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ص 33، 34.

كما أن ملوك أوروبا كانوا يرون أن الدولة البيزنطية دخلت طورا واضحا من أطوار الضعف ولو سقطت، فإن هذا يعني فتح الباب الشرقي لأوروبا لقوات المسلمين العسكرية، سواء من السلاجقة أو من غيرهم وهذا قد يضعهم بين فكي كماشة أي المسلمين القادمين من الشرق والمسلمين في أرض الأندلس، لذلك رأينا أنه برغم التكاسل الذي رأيناه من الملوك في بداية الحملات، إلا أنهم تسارعوا بعد ذلك المشاركة، بل ذهب بعضهم بنفسه إلى أرض فلسطين أو مصر على قيامة جيوشه[1].

وكثيرا ما دب الخلاق بينهم حول حكم إمارة أو الفوز بمدينة، حيث حاولت البابوية أن تتدخل لفض المنازعات بين الأمراء وتحذرهم بأن المسلمين يحيطون بهم، وأن الواجب الصليبي يستدعي تضامنهم لدفع الخطر عن أنفسهم، ولكن تلك الصيحات ذهبت أدراج الرياح لأن هدف الأمراء كان ذاتيا سياسيا، ولم يكن يهمهم كثيرا رضا البابا أو سخطه، بل إن بعض الأمراء لم يحجموا عن مخالفة القرى الاسلامية المجاورة ضد إخوانهم الصليبين، مما يدل على أن الوازع الديني كثيرا ما ضعف عند أولئك الأمراء أمام مصالحهم السياسية[2].

رابعا: الدافع الاجتماعي

ساد المجتمع الاوروبي في العصور الوسطى تمايز طبقي كبير، فقد سادت فيه طبقة رجال الدين وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان، وكانت طبقة الفلاحين تمثل الأكثرية المغلوبة على أمرها، والتي كان أفرادها يكدحون، ليسدوا حاجة الطبقتين الأوليين كان الفلاح الأوروبي مطالبا بالتزامات عديدة لأصحاب الاقطاع.

وكان البابا على دراية بأحوال الفلاحين الكادحين، فوعدهم بإلغاء التزامهم نحو أسيادهم وأغراهم بخيرات المشرق الاسلامي، كان آلاف الفلاحين يعيشون عيشة منحطة في نظام الاقطاع، حيث شيدوا لأنفسهم أكواخا من جذور الأشجار وفروعها وغطيت سقوفها بالطين والقش، دون أن يكون لها نوافذ، ولا يوجد داخلها أثاث بل كان ما يجمعه الفلاح يعتبر ملكا خاصا للسيد الإقطاعي، كما يعتبر محروما من الملكية الشخصية[3].

وكانوا مثقلين بالالتزامات الخدمية لأسيادهم الاقطاعيين في شتى المجالات إلى جانب حرمانهم من منتجاتهم، وبذلك يظهر مدى التعاسة والبؤس الذي كان يعيشه غالبية شعب أوروبا في القرن الحادي عشر ميلادي، وهكذا لما ظهرت الدعوة للغزو الصليبي، وجدت هذه الغالبية العظمى فرصتها للخلاص من حياتها الشاقة المليئة بالذل والهوان، ونظروا إلى أخطار الاشتراك في هذا الغزو ونظرة هينة أمام ما كانوا يعيشون فيه، فإن ماتوا في هذه الحرب كان لهم الخلاص، وإن نجوا كانت لهم حياة جديدة أفضل مما كانوا عليه.

---

[1]-راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية، ص 64.

[2]-الصلابي، الجذور التاريخية للحروب الصليبية، ص 33.

[3]-محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م، ص 84.

ولقد عرفت الكنيسة كيف تلعب بعقول هؤلاء، وتوغر صدورهم ضد الاسلام وأهله، وخدعتهم بأنهم سيحررون بيت المقدس والقبر المقدس، يباركهم الرب والبابا لذلك لم يردعهم رادع عن الذبح والقتل بل كان قتل المسلم مرضاة ينال عليها الصليبي ثوابا يوم الدينونة[1].

[1]-عبد الله بن عبد الرحمان الربيعي، أثر الشرق الاسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، الرياض، 1415، ص 138.

خلاصة القول:

إن دراسة الأوضاع قبيل الحملات تبين لنا صدق الدوافع والأسباب الناجمة لفعل الحملات الصليبية على المشرق ورد فعل المسلمين بمصر والشام لعرقلة سير خطط الصليبيين.

الفصل الثاني

الصراع الأيوبي الصليبي

المبحث الأول: تأسيس الدولة الأيوبية

المبحث الثاني: جهود صلاح الدين ضد الصليبيين

تمهيد:

تميز العصر الأيوبي بطابع خاص وهو طابع الجهاد والكفاح ضد الصليبيين، ولقد كان المبرر الشرعي والاخلاقي لقيام الدولة الأيوبية التي أسسها الناصر صلاح الدين الأيوبي على أنقاض الدولة الزنكية يتمثل في دور مؤسسها في الجهاد ضد الهجوم الصليبي.

المبحث الأول: تأسيس الدولة الأيوبية

يختلف المؤرخون حول تاريخ إبتداء الدولة الأيوبية، فالبعض يجعله منذ تولي صلاح الدين الأيوبي الوزارة من الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله في سنة 1169م. والبعض يجعله مع إعادة الخطبة في مصر للخليفة العباسي والتي تلاها وفاة العاضد لدين الله وإنهاء الخلافة الفاطمية سنة 1171م. وصحيح أن سلطة صلاح الدين بدأت منذ توليه الوزارة ليدعمها بخطوة القضاء على الخلافة الفاطمية، لكنه من الناحية الشرعية كان لا يزال تابعاً لسلطة نور الدين محمود الذي ما لبث وأن توفي سنة 1174هـ. لذلك فإن سنة الوفاة هذه تعتبر تاريخ إبتداء الدولة الأيوبية وذلك عندما إعترف بها الخليفة العباسي المستضئ بالله سنة 1175م. كما يمكن إعتبار الخمس سنوات التي سبقت وفاة نور الدين بمثابة تأسيس الدولة الأيوبية في مصر[1].

وتنسب الدولة الأيوبية إلى صلاح الدين الأيوبي بن نجم الدين أيوب بن شادي الذي ولد في سنة 1138م بمدينة تكريت على نهر دجلة وينتمي إلى أسرة كردية من الأحرار امتزجت بالعروبة التي كانت في ذلك الوقت عروبة الأحاسيس والمشاعر والحضارة ، وقد رحل أبوه نجم الدين بصحبة أخوه أسد الدين شيركوه من بلدتهما وقصدوا العراق وخدما الأمير مجاهد الدين بهروز الذي كان يشغل منصب شحنة لمدينة بغداد من قبل السلاطين السلاجقة ففوض إلى نجم الدين أيوب قلعة تكريت القائمة بين بغداد والموصل وجعله حاكماً عليها فظل على ذلك أعواماً طويلة [2].

ثم أخذ بهروز يتنكر لنجم الدين شيئاً فشيئاً حتى حدث لنجم الدين ما استوجب عزله حيث بلغه أن أخاه أسد الدين شيركوه قد قتل أحد الضباط لمشاجرة جرت بينهما فعزل مجاهد الدين بهروز نجم الدين نتيجة لذلك، وأرسل إليه يأمره بتسليم القلعة إلى عامل آخر والخروج مع أهله من تكريت. وفي ليلة خروجه منها ولد له الناصر صلاح الدين يوسف وقد قال أبوه: فتشاءمت به لفقدي بلدي ووطني. فقال له بعض الناس: قد ترى ما أنت فيه من التشاؤم بهذا المولود فما يدريك أن يكون هذا المولود ملكاً عظيماً له صيت فكان كما قالوا [3].

---

[1]-المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص 85.

[2]-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص 341.

[3]-عصام عبد الرؤوف الفقي، الدولة الاسلامية المستقلة في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987، ص 210.

توجه نجم الدين نحو الموصل ومعه أخوه أسد الدين فخدما عماد الدين زنكي فأحسن إليهما وقربهما وبالغ في إكرامهما وأقطعهما أرضا يعيشان منها وكان ذلك في عام 1138م، وقابل الأخوان هذه المكرمة بما تستحقه من عرفان الجميل فخدما في جيش عماد الدين وأخلصا له الخدمة وأحرزا إنتصارات عديدة، فلما سقطت بعلبك في يديه سنة 1139م ، عهد بإدارتها إلى نجم الدين أيوب فأقام بها إلى أن قتل عماد الدين زنكي سنة 1146م[1] .

وحين استولى نور الدين على دمشق في سنة 1154م صحب صلاح الدين أباه إلى بلاط نور الدين وكان عمره حينئذ سبعة عشر عاماً، واستمر بدمشق والنجابة تقدمه من حال إلى حال ونور الدين يرى منه ذلك فيؤثره ويقدمه ويعتمد عليه في بعض الأمور ولم يزل كلما تقدم قدماً تبدو منه محدثات تقتضي تقدمه إلى ما هو أعلى حتى ولاه نور الدين دمشق في سنة 560هـ، ولكنه لم يكن رئيساً صاحب أمر مطلق بل كان عليه أن يتقيد برأي القاضي كمال الدين الشهرزوري الذي يشرف على منصبه بحكم النظر في المظالم والبت فيها"[2].

وقد شهدت سنة 1162م صراعاً عنيفاً على منصب الوزارة بين ضرغام بن عامر اللخمي وشاور بن مجير السعدي الوالي على مصر العليا فانتصر ضرغام وتقلد الوزارة وأرغم شاور على الهرب فانطلق من مصر إلى الشام مستنجداً بنور الدين محمود طالباً مساعدته في إستعادة منصبه والتخلص من الحملة الصليبية لأن ضرغام كان قد لجأ إلى أموري الأول ملك بيت المقدس الصليبي فعقد معه حلفاً وطلب منه إرسال جيوشه إلى مصر. فسارع إلى تلبية طلبه ووجه جهوده تجاه المشكلة المصرية ، كما أدرك الخليفة الفاطمي خطورة الموقف وأرسل أيضاً إلى نور الدين يعرض عليه ثلث خراج مصر إذا هو أنقذه من الصليبيين وبأن يكون نائبه فيها ويتصرف على أمره ونهيه واختياره[3].

وخرج صلاح الدين نتيجة لإجبار مخدومه نور الدين ولم يكن نور الدين يعلم أن صلاح الدين هذا سيكون منافسه في المستقبل وأنه سيشعل ثورة مصر للوقوف في وجهه وأنه سيرثه في دولته. كما أن صلاح الدين جاء

[1]-ابن الكثير، البداية والنهاية، ج1، ص 293.

[2]-بهاء الدين بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تح: جمال الدين شبال، الدار المصرية للتأليف، ط1، 1964، ص 06.

[3]-أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمان، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح، محمد حلمي، المؤسسة المصرية، القسم الأول، 1992، ص 333.

إلى مصر كارها دون أن يدري أنه على موعد مع القدر وأن نجمه لم يلبث أن يتألق في تلك البلاد. وبعبارة أخرى أحب نور الدين سير صلاح الدين وفيه ذهاب ملكه وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه[1].

إنتهى الأمر بإنتصار حملة شيركوه الثانية وعودة ملك بيت المقدس من غير حرب ولا قتال ، وقد وصل شيركوه إلى القاهرة في 5 يناير 1169م ، وفرح به أهل مصر واستقبل خير إستقبال فاستدعاه الخليفة الفاطمي العاضد إلى القصر وخلع عليه الوزارة ولقيه بالمنصور أمير الجيوش وأخذ أرباب الدولة يترددون إلى خدمته كل يوم وأجريت عليه وعلى عساكره الجرايات الكثيرة . أدرك شاور أن بقاء أسد الدين شيركوه سيؤدي في النهاية إلى القضاء على نفوذه وسلطانه، بل أن شاور أخذ يماطل شيركوه في دفع ثلث خراج مصر في انتظار وصول الصليبيين لنجدته، وقرر شاور إقامة وليمة يدعو إليها شيركوه وقواده ثم يقضي عليهم[2].

فتشاور صلاح الدين والعسكر على الإطاحة به والقبض عليه فلم يجسر عليه أحد منهم إلا صلاح الدين فأخذ بتلابيبه وأمر العسكر بأخذ أصحابه ففروا عن شاور وسيق إلى المخيم وقتل وحمل رأسه إلى قصر الخلافة واستقر أسد الدين شيركوه بعده في وزارة العاضد ودام أمراً وناهياً وأطلق يده في شئون مصر فأقطع جنوده الإقطاعات الواسعة وعين على البلاد من الولاة من يثق بهم من أصحابه والمقربين إليه. وتمت إليه بذلك السيطرة على مصر دون عناء بعد قتل شاور وولده الكامل في يناير سنة 1169م . لم يستمر شيركوه في الوزارة طويلاً إذ داهمه المرض بعد شهور فتوفي, واستدعى الخليفة الفاطمي صلاح الدين ليجني ثمرة غرسه وهو في سن الثانية والثلاثين، وقد نعته العاضد بالملك الناصر وتمكن صلاح الدين في مصر فقدم عليه أبوه نجم الدين وأخوانه وأهله[3].

وقد تمنع صلاح الدين يوسف عن قبول منصب الوزارة ولكنه ألزم به وأحضر إلى القصر وخلعت عليه خلع الوزارة وذلك على الرغم من المنافسة التي لقيها من كبار الأمراء النورية الذين تطلعوا إلى الوزارة عقب وفاة شيركوه[4].

---

[1]-ابن الثير، المصدر السابق، ج11، ص 338.

[2]-ابن التغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 51.

[3]-المقريزي، المصدر السابق، ص 64.

[4]-محمد جمال الدين بن سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 132.

وعندما آلت أمور الدولة إلى صلاح الدين إستاء مؤتمن الخلافة رئيس قصر الخليفة الفاطمي منه، فدبر مؤامرة للقضاء عليه وحاول أن يتصل بعموري الأول ملك بيت المقدس والصليبيين فكتب إليهم بالزحف لمصر فإذا خرج صلاح الدين للقائهم سارعوا بالقبض على رجاله وأعوانه بالقاهرة، وتكون مصر بعد ذلك مناصفة بينهم وبين الفرنج، فوقعت رسالته إليهم في يد صلاح الدين الذي رأى أن يستأصل الشر من جذوره فقتل مؤتمن الخلافة فوراً في 20 اغسطس سنة 1169م[1] .

وكان نجاح صلاح الدين في إسقاط الخلافة الفاطمية في مصر بداية لوحشة بينه وبين سيده نور الدين وكادت تلك الوحشة والجفوة ان تؤدي إلى إخراج صلاح الدين من مصر لولا وفاة نورالدين محمود في مايو 1174م، وقد أتاحت هذه الوفاة لصلاح الدين الفرصة للإنفراد بحكم مصر. ومن هنا يمكننا القول بأن قيام الدولة الأيوبية يبدأ بوفاة نور الدين محمود[2] .

ثم ما لبث الموت أن أنقذ صلاح الدين من خصم آخر هو الملك أموري الذي توفي في نفس الشهر الذي توفي فيه نور الدين تاركاً الملك من بعده لولده الصغير بلدوين الرابع الذي عرف في التاريخ بلقب بلدوين المجذوم"[3].

وعلى أثر ذلك اتسع أمام صلاح الدين الأمل لتحقق أحلامه وآماله التي تراوده بل وتعاوده بإلحاح إذ لم يبق من يستطع الوقوف في طريقه إليها، ثم قرر صلاح الدين المسير إلى الشام لتوحيد الجبهة الإسلامية لمواجهة الخطر الصليبي شجعه على ذلك إنقسام الدولة النورية عقب وفاة نور الدين محمود فضلاً عن التنافس بين قواد قيادة الدولة للسيطرة على الملك الصالح إسماعيل واتجاه بعضهم إلى عقد الصلح والهدنة مع الصليبيين. وقضى صلاح الدين خمسة عشر عاماً يعمل على جمع الشمل وتوحيد الأجزاء المتفرقة. واستطاع أخيراً أن يكون جبهة إسلامية متحدة تمتد من برقة غرباً إلى الفرات شرقاً ومن الموصل وحلب شمالاً إلى النوبة واليمن جنوباً، وقد شرح صلاح الدين سياسته هذه في خطاب أرسله إلى الخليفة العباسي المستضئ يقول فيه: (.... ولو أن أمور

[1]-ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1، ص 174.
[2]-حمدي عبد المنعم حسين، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، 1998، ص 10.
[3]-نفسه، ص 11.

الحرب تصلحها الشركة ، لما عز علينا أن يكون هناك كثير من المشاركين ولا أساءنا ان تكون الدنيا كثيرة المالكين ، وإنما أمور الحرب لا تحتمل في التدبير الا الوحدة، فإذا صح التدبير ، لم يحتمل في اللقاء إلا العدة[1].

لم يتوقف صلاح الدين عن مناوشة الصليبيين أثناء توحيد مصر وبلاد الشام وذلك من أجل منع قيام تحالف بينهم وبين الأمراء الذين تصدوا له في محاولته التوحيدية. فكانت معاركه مع الصليبيين بمثابة عمليات دفاعية يتخللها من حين لآخر عقد المعاهدات.وتعتبر هذه المعاهدات من العوامل التي ساعدت صلاح الدين في بث التفرقة في صفوف الصليبيين. والواقع أن صلاح الدين لم يدخل في حرب مكشوفة ضد الصليبيين إلا بعد أن انتهى من توحيد الجبهة الداخلية الإسلامية عام 1183م وذلك عندما نقض أرناط صاحب الكرك الهدنة المعهودة بينه وبين صلاح الدين وتعرض لقافلة إسلامية ونهبها وزج بأفرادها في حصن الكرك فأرسل صلاح الدين إلى أرناط مقبحاً أعماله ويتهدده إن لم يطلق سراح الأسرى ولكن أرناط امتنع من إجابة السلطان وأبى إلا الإصرار والإضرار[2].

وهكذا لم يبق أمام صلاح الدين إلا القصاص والحرب. وهي الحرب التي جاءت قاضية على الصليبيين وآمالهم في البقاء بالشام بعد أن اختار أرباط أسوأ الظروف والأوقات للصليبيين لإستثارة صلاح الدين الذي أخذ يقوم بإستعداداته على قدم وساق لإعطاء الصليبيين درسا قاسيا لم ينسوه"[3].

المبحث الثاني: جهود صلاح الدين ضد الصليبيين

1-معركة حطين[4] واستلام بيت المقدس

كانت الخطوة المنطقية التالية لهذه الوحدة، هي أن يقوم صلاح الدين بهجوم اسلامي عام على مملكة الصليبيين في بيت المقدس متخذا من أعمال بعض الصليبيين الاستفزازية سببا مباشرا لهذا الهجوم ذلك أن البرنس ارناط صاحب حصن الكرك الذي يشرف على طريق التجارة و بين مصر والشام والحجاز لوقوعه شرقي البحر الميت بالأردن، علم من جواسيسه بمجيء قافلة كبيرة من مصر في طريقها إلى دمشق تحمل كل

[1]-أحمد مختار البادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1967، ص 85.

[2]-المقريزي، المصدر السابق، ص 92.

[3]-سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ص 799.

[4]-حطين: قرية بين عكا وطبرية بالشام بها قبر شعيب وابنه صفوراء، (وفاء محمد علي، قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، ط1، 1407، دار الفكر العربي، القاهرة)، ص 39.

غال ونفيس فأثار ذلك جشعه واستولى عليها وأسر من فيها سنة 1186م رغم الهدنة المبرمة بينه وبين صلاح الدين، وحاول صلاح الدين أن يسترد الأموال والأسرى عن طريق المفاوضة ولكنه لم ينجح عندئذ أقسم أن ينتقم منه، وأن يقتله بيده ثم أعلن التعبئة العامة للهجوم على الصليبيين وهناك رواية أخرى في هذا الصدد يرويها الأمير عبد العزيز تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي الذي صاحب صلاح الدين مرضه الشديد سنة 582هـ، نذر أنه إذا أبل من مرضه فأنه لن يقاتل أحدا من المسلمين وأنه سيكرس جهاده ضد الصليبيين فاذا انتصر عليهم وظفر بالبرنس ارناط فسوف يتقرب إلى الله بإراقة دمه، وقد نجاه الله ببركة هذا العذر فكان هذا النذر هو سبب إراقة دم الإبرنس أرناط[1].

هذا ما يرويه المؤرخون عن دوافع هذا الهجوم وإن كان من المعروف أن حادثة أرناط لا تعدو أن تكون مباشرا فقط، وأن صلاح الدين لم يقدم على هذا الهجوم إلا بعد أن كمل استعداده وأصبح في مقدوره أن يحدد زمان ومكان المعركة.

ورأى صلاح الدين أن يتحاشى مهاجمة تجمعات الصليبيين بالساحل في صفورية قرب عكا، وعمل على إجبارهم على المسير إليه في الداخل وفي المكان الذي حدده للمعركة فهاجم مدينة طبرية، وكانت بها زوجة أمير طرابلس ريموند الثالث واسمها اشيفا، وقد أثار هذا الحادث غضب الصليبيين.

فعقدوا مجلس حرب في عكا وقرروا الزحف في صفورية إلى طبرية، وكان من المنتظر أن يكون ريموند الثالث صاحب طرابلس أول المتحمسين لهذه الخطة لإنقاذ زوجته، ولكنه عارض فكرة الزحف لوعورة الطريق وقلة الماء وحرارة الجو وفضل البقاء وانتظار المسلمين على الساحل غير أن أمراء الصليبيين أمثال أرناط وجاي لوزجنان ملك بيت المقدس وزعماء الداوية اتهموا ريموند بالخوف والضعف وقرروا الزحف إلى طبرية، والواقع أن بما كان يراه ريموند هو الصواب من الناحية الاستراتيجية[2].

وفرح صلاح الدين لنجاح خطته وعقب على قرار الصليبيين بقوله: "جاءنا ما نريد" إذ كان هو ورجاله ينعمون بالظلال والماء عند بحيرة طبرية والأردن، بينما كان على الصليبيين أن يسلكوا الحديدية طرقا وعرا مرتفعا طوله 16 كلم لا ماء فيه، وفي حرارة شهر يوليو الشديدة وقد حرص صلاح الدين على أن يترك لهم تلا صخريا مجاورا قاحلا لا ماء فيه، وهو تل حطين فوصلوا منهكين متعبين، ثم أشعل لهم المسلمون النار في

[1]-أبو شامة، كتاب الروضتين، ج2، ص 80.

[2]-أحمدالمختار العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، ص 54.

الأعشاب المجاورة، فاجتمع عليهم حر الزمان وحر النار والدخان وحر العطش والقتال، وانتهز صلاح الدين فرصة حلول الظلام في الليل وأحاط بالجيش الصليبي ثم دار القتال بين الفريقين، فلم يجد الصليبيون أمامهم سوى تل حطين فأخذوا يصعدون نحو القمة والمسلمون خلفهم يقتلون فيهم، ثم اسروا من تبقى منهم وكان على على رأس الأسرى ملك بيت المقدس جان لوزجنان وأرناط صاحب الكرك ومقدم الداوية دي مونتفورت أماريموند الثالث، فقد تمكن من الفرار إلى إمارته طرابلس بعد أن فتح له المسلمون ثغرة في صفوفهم واستقبل صلاح الدين الأسرى استقبالا حسنا، وقدم لهم الماء المثلج فشرب جاي لوزجنان وأعطى ما تبقى منه لارناط فشربه وغضب صلاح الدين من ملك بيت المقدس، وقال له كان ينبغي أن تأخذ مني إذنا لتسقيه، ثم أخذ يعدد ذنوب أرناط ثم تناول سيفه وقتله تنفيذا لقسمه كذلك أمر بقتل أسرى الداوية والاسبتارية كثرة شرورهم وشدة وطأتهم على المسلمين وسيف بقية الأسرى إلى دمشق حيث يبقوا بيع الرقيق.

كانت واقعة حطين كارثة حربية كبرى على الصليبيين فنيت فيها زهرة شبابهم وفرسانهم، وقد علق المؤرخ المعاصر ابن الأثير على هذه الواقعة بقوله:" وكان من يرى القتلى يحسب أن ليس هناك أسرى، ومن يرى الأسرى يحسب أن ليس هناك قتلى[1].

وفي هذا الصدد رواية رواها ابن الأثير على لسان الأمير الفاضل بن صلاح الدين في وصف حطين، كما شاهدها بنفسه فيقول: كنت إلى جانب أبي في صف حطين في ذلك المصاف وهو أول مصاف شاهدته في حياتي، فلما اسحب ملك فرنج إلى قمة التل (قرون حطين) ونصب خيمته الحمراء بأعلى القمة، حمل فرسانه حملة منكرة على المسلمين حتى ألحقوهم بوالدي، قال: فنظرت إليه وقد علته كآبة، وارب لونه وأمسك بلحيته وتقدم و هو يصيح: كذب الشيطان!!!

قال فعاد المسلمون وانقضوا على العدو الذي ارتد إلى التل وحينما رأيت الفرنج يفرون، صرخت فرحا مسرورا لقد هزمناهم! غير أنهم حصلوا مرة أخرى وردوا رجالنا إلى حيث يقف والدي فعاد والدي يصيح مثل المرة الأولى:" فلتشدوا على الشيطان الكاذب"، فهجم المسلمون على الفرنج ودفعوهم إلى أعلى التل فصحت

[1]-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص224.

مرة أخرى: لقد هزمناهم فالتفت والدي إلي وقال: "اسكت ما نهزمهم حتى تسقط تلك الخيمة"، و بينما يقول لي ذلك وإذا بخيمة الملك قد صوبت وسقطت عندئذ ترجل والدي وسجد شكرا لله تعالى وبكى من فرحه"[1].

ولم يجد صلاح الدين صعوبة بعد هذا النصر الحاسم في فتح المدن الصليبية وساعدته على ذلك حسن معاملته لأهالي تلك المدن، ومثال ذلك أنه بعد فتح طبرية، عامل الأميرة اشيفا زوجة ريموند الثالث معاملة كريمة وسمح لها بالسفر بأموالها وحاشيتها إلى طرابلس.

وتوقع الصليبيون أن يذهب صلاح الدين إلى القدس أولا، إلا أنه وجد بثاقب نظره أن يبدأ بالمدن الساحلية التي تربط الصليبيين بموطنهم الأصلي في غرب أوروبا فيحرهم في داخل الشام، فضلا عن أن احتلاله للمدن الساحلية سيسهل عليه الاتصال البحري بين مصر والشام وعلى هذا الأساس استولى صلاح الدين على عكا ويافا وصيدا وبيروت وجبيل وعسقلان وغزة، ولم تستعصى عليه سوى مدينة صور ذلك يرجع إلى موقعها الجغرافي المحاط بالمياه من معظم نواحيها وفشل الأسطول المصري في محاولة غزوها من ناحية البحر[2].

استعادة بيت المقدس:

وبعدما انتهى صلاح الدين من أمر عسقلان وما جاورها عزم على التوجه إلى بيت المقدس، وحتى يطمئن إلى عدم وصول نجدات بحرية لمدن الساحل، أرسل إلى مصر يأمر بخروج الأسطول والمقاتلة بقيادة حسان الدين لؤلؤ المعروف بشجاعته ونفذت البحرية المصرية ما طلب منها وقطعوا الطريق على الفرنج وأسروا بعض السفن الصليبية.

ولما اطمئن صلاح الدين إلى ذلك سار بن عسقلان إلى القدس وقبل أن يغادر عسقلان وصل وفد من مدينة بيت المقدس بناء على طلب صلاح الدين للمفاوضة في الشروط التي يجب عليها تسليم المدينة، وكان الوفد رفض أن يسلم المدينة، فأقسم صلاح الدين على دخول المدينة بحد السيف.

وخلال ذلك أرسل باليان الثاني أف بلين الذي يطلق عليه ابن الأثير باليان بن بيرزان، أرسل إلى صلاح الدين يطلب الألمان لدخول المدينة المقدسة لاصطحاب زوجته وأطفاله من المقدس إلى صحو، وقد وافق صلاح الدين على طلبه بشرط ألا يدخل المدينة حاملا سلاحا وألا يبيت بالمدينة، ولما وصل باليان إلى

[1]-المصدر السابق، ج11، ص 536.

[2]-أحمد مختار العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، ص 56.

القدس وجد هرقل بطريق المدينة الكاثوليكي (1180-1191) وبعض المسؤولين في جماعة الداوية يستعدون للدفاع عن المدينة، وقد أصر هؤلاء على بقاء باليان معهم باعتباره قائدا عسكريا موثوقا به وأن يتولى قيادة الدفاع عن المدينة.

وأراد الصليبيون القيام بهجوم كبير على القوات الاسلامية، مهما كلفهم ذلك ولكن بطريق المدينة الصليبي لم يكن من أنصار هذا العمل، ووافق باليان على هذا الرأي حتى لا تزهق الأرواح وتشرق النساء والأطفال.

ولما أيقن الصليبيون أنهم مشرفون على الهلاك اجتمع قادتهم يتشاورون واتفق رأيهم على طلب الأمان وتسليم المدينة إلى صلاح الدين.

وذهب جماعة من كبار الفرنج في طلب الأمان، لكن صلاح الدين امتنع من إجابة طلبهم في البداية وقال لا أفعل بكم إلا كما فعلتهم بأهل المدينة حيث مكثتموها سنة 491هـ/1099م من القتل والبغي وجزاء السيئة بمثلها.

ولما عاد الرسل خائبين، أرسل باليان إلى صلاح الدين يطلب الأمان لنفسه ليحضر عند صلاح الدين فأجيب إلى طلبه، ورغب باليان في الأمان ولكن صلاح الدين رفض مرة أخرى، واستعطفه باليان فلم يعطف عليه، واسترحمه فلم يرحمه[1].

ولما يئس باليان قال لصلاح الدين: "إعلم أيها السلطان إننا في هذه المدينة في خلق كبير لا يعلمه إلا الله، وإنما يفترون عن القتال رجاء الأمان، ظنا منهم أنك تجيبهم كما أجيب غيرهم، وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة، فإذا رأينا أن الموت لابد منه فوا الله لنقتلن أبناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وأمتعتنا، ولا نترككم تقتصون منها دينارا واحدا ولا درهما ولا تسبون ولا تأمرون رجلا واحدا، وإذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى وغيرهما من المواضع، ثم نقتل من عندنا من أسرى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ولا نترك لنا دابة ولا حيوانا إلا قتلناه ثم نخرج إليكم كلنا فنقاتلكم قتال من يريد أن يحمي دمه ونفسه، وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل أمثاله ونموت أعزاء أو نظفر كراما"[2].

---

[1]-عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الاسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص 494.

[2]-نفسه، ص 496-497.

أدرك صلاح الدين أن للمدينة أصبحت في يده وكان مستعدا أن يكون سخيا كعادته وأراد ألا تتعرض من المدينة إلا لأقل الأضرار.

وذكر باليان أن بالقدس حوالي عشرين ألف من الفقراء لا يمكنهم دفع الفدية وعرض أن يدفع مبلغا إجماليا من هؤلاء الفقراء. وقبل صلاح الدين مبلغ مائة ألف دينار، ولما كان باليان لا يملك هذا المبلغ، فتقرر إطلاق سبعة آلاف من الفقراء مقابل ثلاثين ألف دينار.

وسلمت المدينة المقدسة يوم الجمعة 27 من رجب 583هـ/ 2 أكتوبر 1187م وهو يوم الاحتفال بالإسراء والمعراج ويشهد المؤرخون الغربيون بأن المسلمون اشتهروا بالاستقامة والانسانية على عكس الصليبيون عندما دخلوا المدينة عام 1099م[1].

وأصابت الحيرة باليان فكتب إلى صلاح الدين يخبره أنه سوف يحنث باليمين التي أقسمها له، ولكن صلاح الدين المعروف بالمروءة ودماثة الخلق، لم يكتف بالعفو عن باليان بل أرسل إليه رجالا لحماية زوجته وأطفاله واصطحابهم من القدس إلى الصور ومعهم حاشيتهم وأمتعتهم ويرجع ذلك إلى أن باليان كانت مرتبته عند الصليبيين تقارب مرتبة الملك، وقد بكى صلاح الدين عندما شاهد هؤلاء الأطفال يغادرون المدينة في طريقهم إلى المنفى.

بذل باليان ما في وسعه من أجل الدفاع عن المدينة، وعوض نقص الفرسان بتنصيب كل من بلغ السادسة عشر من أسر النبلاء فارسا وتسلم الخزانة الملكية وأضاف إليه الأموال التي أرسلها ملك إنجلترا هنري الثاني (1154-1189م) إلى طائفة الاسبتارية.

وكان في القدس الكثير من هربوا من المدن التي سقطت في يد صلاح الدين، وكانوا جميعا يرون أن الموت أيسر عليهم من أن يملك المسلمون بيت المقدس، وقد قاموا جميعهم بتحصين المدينة وصعدوا على سورها بحدهم وحديدهم ونصبوا المجانيق عليه، مصرين على حفظ المدينة مظهرين العزم على المناضلة قدر استطاعتهم[2].

---

[1]-أحمد المختار العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، ص 58.

[2]-مؤنس محمد عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط1، عين للدراسات والبحوث والانسانية والاجتماعية، 1999،2000، جامعة عين الشمس، ص 207.

وصلت القوات الاسلامية وعلى رأسها صلاح الدين إلى القدس في منتصف رجب 583هـ/ سبتمبر 1187م، ولما وصلت رأت على سور المدينة ماهالهم وسمعوا لإهله ومن الجلبة والضجيج من وسط المدينة ما استدلوا به على كثرة الجمع.

وبقي صلاح الدين خمسة أيام يطوف حول المدينة يتفقد المنطقة ليختار الموقع نحو باب عمودا وكنيسة صهيون، فانتقلت القوات الاسلامية إلى هذا الموقع وهو على جبل الزيتون، ونصبت المجانيق وأصبحت جاهزة للعمل في اليوم التالي.

ويلاحظ أن الموقع الذي اختاره صلاح الدين هو الموقع نفسه الذي دخل منه جردفري أمير الكزرين مدينة القدس في عام 1099م عندما استولى الصليبيون على المدينة في الحملة الصليبية الأولى.

وتقاتل الفريقان قتالا صريرا، وكان خيالة الصليبيين يخرجون كل يوم إلى ظاهر القدس يقاتلون ويبارزون، ووقع الكثير من القتلى في صفوف القوات الاسلامية والصليبية، وممن استشهد من المسلمين الأمير عزالدين عيسى بن مالك، وهو من أكابر الأمراء الذي كان يصطلي القتال بنفسه كل يوم، فلما رأى المسلمون مصرعه عظم عليهم ذلك، فحملوا حملة رجل واحد فأزالوا الفرنج عن مواقعهم وأدخلوهم إلى المدينة، ووصل المسلمون إلى خندق المدينة والتصقوا بالسور فنقبوه تحت غطاء من ضربات المجانيق والنبال[1].

2- الحملة الصليبية الثالثة وحصار عكا:

كان لسقوط بيت المقدس في أيدي المسلمين صدى قوي في أوروبا إذ لبس الرهبان والقساوسة السواد، وأظهروا الحزن وأخذهم بطريك بيت المقدس وطاف بهم مدن أوروبا يستنجدون بأهلها، ويحثونهم على استرجاع بيت المقدس، وقد صوروا السيد المسيح عليه السلام وجعلوا معه صورة رجل عربي يضربه بعصا، وقد جعلوا الدماء على صورة المسيح، وقالوا هذا المسيح بضربه مُحَمَّد نبي المسلمين وقد جرحه وقتله، فعظم ذلك على الفرنج، فحشدوا حشودهم حتى النساء خرجن للقتال، ومن لم يستطع الخروج استأجر من خرج عوضا عنه، أو يعطيهم مالا على قدر طاقته ولما عظمت جموعهم صمدوا على قصد عكا ومحاصرتها.

[1]-نفسه، ص 208،209.

وهكذا انتهى الأمر بإرسال جملة صليبية جديدة هي الحملة المعروفة بالحملة الثالثة، وكان يقودها ثلاث من كبار ملوك أوروبا في ذلك الوقت وهم فريدريك بربروسا إمبراطور الدولة الرومانية، وريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا، وفيليب أوجست ملك فرنسا[1].

خرجت جيوش الصليبيين من مدينة صور لحصار مدينة عكا، و أتم الحصار من ناحية البحر أسطول الفرنج، فلما علم صلاح الدين وكان على حصار شقيق أرنون، رحل إلى عكا ونزل بمرج عكا، وصار محاصرا للفرنج، والفرنج محاصرين لعكا، واستمرت الامدادات الاسلامية تصل إلى صلاح الدين وقرر قتال الفرنج في أول شعبان سنة 585هـ/الرابع عشر من سبتمبر 1189م، لايصال الامدادات إلى أهل عكا، ونجح صلاح الدين في دخول عكا في الثاني من نفس الشهر.

واستمرت المعارك العنيفة بين الفريقين وانتصر المسلمون في نهايتها، وعقد صلاح الدين مجلسا من قواده للتشاوروكان من رأيه أن يتابع القتال، حتى لا يترك للفرنج فرصة لاستعادة قواهم، ولكن أمراء وقواد صلاح الدين مجلسا من قواده للتشاور وكان من رأيه أن يتابع القتال، حتى لا يترك للفرنج فرصة لاستعادة قواهم، ولكن أمراء وقواد صلاح الدين رفضوا الموافقة على رأيه لرغبتهم في الحصول على القليل من الراحة بعد قتال استمر ما يقارب خمسين يوما، فاضطر صلاح الدين للنزول على رأيهم وانسحب بقواته إلى خروبة (هي حصن بساحل الشام مشرفا على عكا).

فكانت فرصة الفرنج واستعادوا قواهم وحفروا خندقا على معسكرهم حول عكاض البحر وإلى البحر، وأداروا حوله سورا، كما منعوا وصول الإمدادات إلى المسلمين داخل عكا[2].

كما وردت الأخبار إلى صلاح الدين من حلب بخروج الامبراطور فريدريك بربروسا من القسطنطينية في عدة عظيمة قيل المسلمين أنهم مائتا ألف، وقيل مائتا وستون ألفا، يريد البلاد الاسلامية، فاشتد الأمر على صلاح الدين ومن معه من المسلمين[3].

مع مطلع الربيع من عام 586هـ/ 1190م بدأ صلاح الدين يعد العدة لاستئناف القتال، فاستدعى الجيوش من كل أطراف الدولة إضافة إلى جموع ضخمة من التركمان والعرب، فلما تكاثرت العساكر

[1]-حمدي عبد المنعم حسين، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص 81.
[2]-نفسه، ص ص 81 82.
[3]-عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا، ص 498.

الاسلامية، رحل صلاح الدين من الخروبة إلى تل كيسان (وهو موضع في مرجع عكا من سواحل الشام)، وتتابع مجيء العساكر الاسلامية.

وفي أثناء هذه الاستعدادات قام الفرنج ببناء ثلاث أبراج ضخمة بارتفاع أسوار عكا، فإن كل واحد منها كان يحمل ما يزيد على خمسمائة فارس، ويتسع سطحه لأن ينصب عليه منجنيق، وصل الامبراطور فريدريك بربروسا إلى القسطنطينية ولكن الامبراطور البيزنطي لم يرحب بمقدم هذا الامبراطور ومعه جيشه الصليبي، ولم تكن أيضا الثقة متبادلة بين الامبراطورين وخير شاهد على هذا أن إمبراطور بيزنطة أرسل في ذلك الوقت خطابا وديا إلى صلاح الدين يعلن فيه صداقته ويعلن فيه كرهه للأمان ويوعده بأنه يمكن الألمان من عبور بلاده إلى بلاد الاسلام، ولكنه فشل في ذلك، ولم يزودهم بالعتاد، وقد اشتدت ضائقتهم، ولما دخلوا بلاد الشام سلكوا طريقهم في الأودية فخطفتهم التركمان. ثم دخل الشتاء فاضطروا إلى أكل دوابهم، وأحرقوا عدتهم لقلة الحطب لديهم، ولما اقتربوا من بلاد الملك عزالدين قلج بن أرسلان السلجوقي، خرج إليهم ابنه قطب الدين مكشاه، فألحقوا به الهزيمة وفر إلى مدينة قونية فلحقوا به وهاجموها وأحرقوا أسوارها وأرسلوا إلى قلج أرسلان": "إنا لم نصل لأخذ بلادك وإنما نزلنا لثأر البيت، وطلبوا الهدنة منه فهادنهم، وبعث قلج أرسلان وابنه قطب الدين مكشاه إلى صلاح الدين يعتذران من تمكينهم لفريدريك بربروسا من العبور في بلادهم لأنهم اضطروا إلى ذلك اضطرارا[1].

واصل فريدريك بربروسا سيره حتى وصل إلى بلاد الأرمن فنزلوا بطر سوس وأقاموا بها أياما للراحة ولكن فريدريك لم يلبث أن لقى حتفه أثناء سباحته في نهر بطرسوس وقام بالملك من بعده ابنه، فسار بعساكر أبيه إلى أنطاكية.

ولما وصل الخبر لصلاح الدين وتقدم الألمان فأرسل جزء من جيشه إلى شمال الشام لمنع الألمان من التقدم وبقي صلاح الدين مع الجزء الأكبر من الجيش منازلا الفرنج أمام عكا، كما أمر صلاح الدين بتخريب أسوار طبرية ويافا وأرسوف وقيسارية وصيدا وجبيل، ونقل أهلها إلى بيروت انتهز الفرنج تفرق عساكر المسلمين ووقعت الأنظار على الجزء الذي ذهب إلى شمال الشام الذي كان يتولى قيادتها الملك العادل أبو بكر أخي

[1]-المرجع السابق، ص 83.

صلاح الدين، وقامت معركة عنيفة عرفت بمعركة العادلية في جمادى الثانية 586هـ/1190م وكتب النصر للمسلمين[1].

سار ابن فريدريك بربروسا سنة 586هـ/1190م من أنطاكية طالبا عكا فوصلها في رمضان من نفس السنة، ولكنه لم يلبث أن لقى حتفه في ذي الحجة من نفس السنة أيضا أثناء قتاله ضد المسلمين، ظلت الحرب قائمة أمام أسوار عكا بين المسلمين والفرنج، ولكن سنة 587هـ/ 1191م بدأت المدينة تضعف أمام هذا الحصار الطويل، كما ارتفعت الروح المعنوية للفرنج بوصول ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا وفيليب أوجست ملك فرنسا، وحاول صلاح الدين إرسال بعض الإمدادات إلى عكا لكن أساطيل الفرنج كان لها التفوق في البحر على السفن الاسلامية، وفي نهاية الأمر لم يستطع أمير عكا بهاد الدين قراقوش الصمود، وأجرى المفاوضات مع الفرنج لتسليمها على الشروط الآتية:

1-أن تسلم المدينة للفرنج بما فيها من الآلات والعدد والأسلحة.

2-أن تدفع مائتي ألف دينار فدية لمن بها من أسرى المسلمين.

3-أن يطلق سراح ألف وخمسمائة فارس من مجاهيل الأسرى الفرنج ومائة معينين بالاسم.

4-أن يرد الفرنج صليب الصلبوت.

5-أن يخرج جميع من في المدينة من مسلمين سالمين.وسلمت عكا يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الثانية سنة 587هـ/ الثاني عشر من يوليو 1191م[2].

بعد تسليم عكا لم يفي الفرنج بوعودهم، ولم ينفذوا شروط الصلح، وبدأ الخلاف بين الطرفين فالفرنج لا يريدون تسليم الأسرى المسلمين إلا بعد أخذ الفدية كلها والمسلمين لا يريدون دفع الفدية إلا إذا تأكدوا من إطلاق سراح الأسرى، ويوم 27 رجب 587هـ/ أغسطس 1191م خرج ريتشارد قلب الأسد من عكا وأحضر أسرى المسلمين وأمر بقتلهم، ولم يبق في أسراه إلا الأمراء والقواد.

[1] مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص ص 223-225.
[2] -نفسه، ص 226.

ثم سار الفرنج إلى عسقلان ورحل صلاح الدين في أثرهم والتقى الفريقان عند أرسوف وانهزم فيها المسلمون شر هزيمة.

ثم رحل صلاح الدين ونزل بالرحلة ورحل منها ليلا إلى عسقلان، حيث أحضر أخاه العادل وكبار الأمراء وشاورهم في تخريب عسقلان، فأشار عليه الأمير علم الدين سليمان جندر بتخريبها لعجزهم عن الدفاع عنها، ووافق الأمراء والقواد على ذلك.

ثم رحل صلاح الدين عن عسقلان بعد خرابها في رمضان 587هـ وأثناء ذلك راسل ريتشارد قلب الأسد الملك العادل راغبا في المصالحة وعقد السلم وعزم أن له أخت عزيزة عليه وأنها كانت زوجة ملك صقلية وعرض الملك ريتشارد أن يزوجها للملك العادل على أن يجعل العادل على المدن الساحلية على أن تيتقر أخته في بيت المقدس بصحبة الرهبان والقسيسين، بعدها طالب ريتشارد الملك العادل أن يعتنق المسيحية، وذلك لإرضاء رجال الدين ففشلت محاولات هذا الزواج[1].

ثم راسل ريتشارد صلاح الدين، وعرض الصلح على هذه الشروط، الاستيلاء على بيت المقدس ورد صليب الصلبوت، وأخذ البلاد الواقعة بين نهر الأردن والساحل فرفض صلاح الدين ذلك، ورغم فشل هذه المفاوضات إلا أنه نشأ نوع من الود بين الملك العادل وريتشارد لاجتماعهم في شوال 587هـ/ نوفمبر 1190م، في أثناء ذلك تولى حكم الصور "الكندهري" بعدما قتل "المركيس كندرادي مونتفرات" وتزوج زوجته وهذا "الكنهدري" ابن أخت ملك فرنسا فيليب من أبيه وابن أخت ملك انجلترا ريتشارد من أمه.

وفي سنة 588هـ/1192م استولى الفرنج على قلعة الداروم، ثم خربوها ورحلوا عنها وأسروا أهلها وقرر ريتشارد المسير إلى بيت المقدس، كما أرسل "الكندهري" إلى صور وطرابلس وعكا لاستحضار من فيها من المقاتلة، فلم علم صلاح الدين ذلك قسم أسوار القدس على الأمراء، وأخذ الفرنج يستعدون للمسير ولكن لم يلبث أن حدث بينهم خلاف انتهى برجوعهم إلى الرملة[2].

تجددت المفاوضات للصلح، وأرسل ريتشارد إلى صلاح الدين قائلا: "قد أهلكنا نحن وأنتم والأصلح أن نحقن الدماء، ولا ينبغي أن تعتقد أن ذلك عن ضعف مني، بل أريد المصلحة، ولا تغتر بتأخري عن منزلي،

[1]-المرجع السابق، ص 226.

[2]-عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 499.

فالكبش يتأخر لينطح ثم لا يجوز لك أن تهلك المسلمين كلهم، ولا يجوز لي أن أهلك الفرنج كلهم، وهذا ابن أختي الكندهري قد مكنته هذه الديار، وسلمته إليك يكون هو وعسكره بحكمك ولو استدعيتهم إلى الشرق سمعوا وأطاعوا، وإن جماعة من الرهبان والمنقطعين قد طلبوا منك كنايس فما بخلت عليهم بها، وأنا أطلب منك كنيسة، وتلك الأمور التي كانت تضيق صدرك في المراسلة لما كانت المراسلة تجري مع الملك العادل قمت بتركها. وأعرضت عنها ولو أعطيتني قرية أو مزرعة قبلتها وقبلتها".

فاستشار صلاح الدين الأمراء والقواد ووافقوه على الصلح ورد عليه: "إنك إذا دخلت معنا في هذا الأمر، فما جزاء الاحسان إلا الإحسان وابن أختك يكون عندي كبعض أولادي، وسيبلغك ما أفعل في حقه من الخير وأنا أعطيك أكبر من الكنائس وهي القيامة، وبقية البلاد نقسمها الساحلية التي بيدك تكون بيدك والتي بأيدينا من القلاع الجبلية تكون لنا وما بين العملين تكون مناصفة، وعسقلان وما وراءها يكون خرابا لا لنا ولا لكم، وإن أردتم قراها كانت لكم، والذي كنت حديث عسقلان[1].

استمرت المشاورات والمفاوضات، تخللها موقعة عند يافا فقد حاصرها صلاح الدين وأخذها وكان ريتشارد في طريقه إلى بيروت، فلما سمع بسقوطها عاد إليها واستردها، بينما اتجه صلاح الدين إلى الرملة، وأثناء ذلك مرض ريتشارد واشتد به المرض.

لذا عقد الصلح في شعبان 588هـ/ سبتمبر 1192م وهو المعروف بصلح الرملة، وخلف عليه كل أمراء المسلمين وأمراء وقواد الفرنج وكانت أهم شروطه:

-يحتفظ الفرنج بمنطقة الساحل من عكا إلى يافا.

-تكون عسقلان وما يليها جنوبا بيد صلاح الدين.

-يسمح للحجاج المسيحيين بزيارة بيت المقدس.

-عقد هدنة بين الطرفين مدتها ثلاث سنين وثلاثة أشهر.

[1]-حميدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 92.

رحل ريتشارد وسائر القواد الفرنج إلى عكا وسار صلاح الدين إلى القدس لتفقد أحوالها ثم إلى دمشق في شوال 588هـ/1192م ولكنه لم يلبث أن مرض بالحمى[1].

وفاة صلاح الدين ونزاع أمراء البيت الأيوبي:

توفي صلاح الدين الأيوبي في أوائل مارس سنة 1193م في دمشق بعد مرض قصير تاركا خلفه مملكة واسعة الأرجاء وفراغا ضخما لم يستطع أحد من أبنائه السبعة عشر أوإخوته أن يملؤه، وكانت وفاة صلاح الدين الأيوبي نهاية مرحلة تاريخية في الصراع ضد الفرنج الصليبيين وبداية مرحلة تاريخية جديدة، أدت في الحال إلى تغير في موازين القوى السياسية والعسكرية، فحين توارت هذه الشخصية الفذة من على مسرح التاريخ حدث فراغ سياسي كبير أضر بالجانب الاسلامي، وعاد بالفائدة على الجانبي الصليبي، إذ كانت شخصيته ومواهبه وآداؤه السياسي والعسكري، هو الذي يحفظ الدولة من التفكك. ولم تكن هناك مؤسسات تضمن استمرار بقاء هذه الدولة الكبرى من ناحية، كما أن صلاح الدين قسم دولته كما يقسم الإرث بين أبنائه وإخوته وبني عمومته على نحو ما كان مألوفا في تلك العصور، وكان طبيعيا أن تعود المنطقة إلى الوراء مرة أخرى نتيجة المنازعات والتفكك السياسي الناجم عن الخلاف بين ورثة صلاح الدين[2].

اتسعت رقعة الخلاف على السلطة وتدخل بينهم أصحاب الرأي والمشورة لإصلاح ذات البين واستقر الأمر في البداية على تقسيم الأقاليم على النحو التالي:

-في مصر الملك العزيز عماد الدين عثمان.

-في حلب الملك غياث الدين الغازي.

-في اليمن الملك العزيز سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب.

-في كرك والثوبك والبلاد الشرقية الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب.

-في حماة وسلمية والمعرة ومنيح وقلعة نجم الدين المنصور ناصر الدين مُحَّد بن الملك المظفر تقي الدين.

-في خمص والرحبة وتدمر الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن مُحَّد بن شيركوه.

---

[1]-نفسه، ص 93.

[2]-استيفن راتسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، تع: السيد الباز العريفي، ط2، 1993م، ص8.

-أما في بعلبك وأعمالها الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاد بن فرخشاه بن شاهنتشاه بن أيوب.

-وفي البصرى الملك الظافر خضر بن صلاح الدين بن أيوب، وكان في خدمة[1] أخيه الملك الأفضل أي تابعا له.

-وفي شيزر أبو قبيس الأمير سابق الدين عثمان بن الداية.

-وفي صهيون وحصن بزرية الأمير ناصر الدين منكورس بن خمار تكين.

-وفي تل باشر الأمير بدر الدين سلدرم بن بهاء الدين ياروق.

-أما في كوكب وعجلون الأمير عز الدين أسامة[2].

هكذا تفكك عرب الدولة الاقليمية الكبرى التي جاهدت ثلاثة أجيال في إقامتها بالمنطقة العربية (عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي) وقد سبق وأن ذكر أن السلطان صلاح الدين الأيوبي هو الذي قسم الدولة على هذا النحو كما تقسم التركات الخاصة، وكان ذلك الوقت من ناحية، ولكنه كان سببا في انهيار الوحدة السياسية للمنطقة العربية وإطالة عمر الكيان الصليبي من ناحية أخرى، وقد كان نتاج ذلك التقسيم مريرا تمثل في عدد من المنازعات والمشاحنات والحروب الداخلية[3].

وسرعان ما انغمس الأيوبيون في صراعاتهم الداخلية، كما واجهتهم مشكلات أطماع بقايا البيت الزنكي من حكام الجزيرة وأعالي العراق، وكان لحدوث النزاع بين أبناء صلاح الدين الأيوبي أثر كبير في تشكيل أحداث الفترة المقبلة[4].

---

[1]-حمدي عبد المنعم محمد حسين، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص 94.

[2]-المرجع السابق، ص ص 94، 95.

[3]-قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص 80.

[4]-أحمد المختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ص 88.

خلاصة القول:

بعد وفاة صلاح الدين انقسمت تلك الدولة التي أجهد نفسه في إقامتها ولم شملها إلى عدة وحدات ذات استقلال سياسي بين أبنائه وإخوته وكبار قادته، فأدى الفراغ السياسي الناجم عن وفاة صلاح الدين الأيوبي إلى نشوب نوع من المنازعات بين الحكام الأيوبيين فيما بينهم وبين الصليبيين أيضا.

الفصل الثالثة

الحملات الصليبية على مصر والشام

المبحث الأول: الحملة الصليبية الخامسة على مصر 615هـ /1217م.

المبحث الثاني: الحملة الصليبية السادسة.

المبحث الثالث: الحملة الصليبية السابعة.

تمهيد:

توالت الهجمات و تعددت المعارك و الحملات و المسلمين و الصليبيين بين قتال و مفاوضات و العالم الإسلامي بين مؤيد و معارض كل هذه الاحداث جرت في الحملات الصليبية الخامسة و السادسة و السابعة تارة في مصر و تارة أخرى في الشام.

المبحث الأول: الحملة الصليبية الخامسة على مصر 615هـ/1217م

أ-البواعث

أدى فشل الحملة الصليبية الثالثة في استرداد بيت المقدس من المسلمين إلى حالة من القلق في غرب أوروبا بوجه عام وعند البابوية بوجه خاص، وزاد هذا القلق عندما انحرفت الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية، وهي التي كان مفروضا أن تتجه نحو مصر بوصفها حجر الزاوية في حركة المقاولاتية الاسلامية للصليبيين في الشرق الأدنى[1]، وبصورة أخرى فإن الحركة الصليبية والمتحمسين لها وصلوا في نهاية القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر إلى نتيجة حاسمة هي أن مفاتيح بيت المقدس توجد في القاهرة وأن الخطر الحقيقي الذي هدد بقاءهم واعترض وجودهم في بلاد الشام إنما نبع من مصر بالذات[2].

لذا قامت التنظيمات الدينية والعسكرية بدورها في دعم المشروع الصليبي الذي قاده "حنابرين" في حملته على مصر والتي قد كان دعا إليها "البابا أنوسنت الثالث"على إثر انعقاد المؤتمر البابوي الرابع في كنيسة لاتيران في روما في رجب 612هـ تشرين الثاني 1215م الذي انعقد للنظر في بعض شؤون الكنيسة ومسألة توحيد الكنيستين الشرقية والغربية فضلا على الاعداد للحملة الصليبية، وهو الهدف الرئيسي لانعقاد المؤتمر الذي حضره كبار رجال الدين الآتيين وكبار العلمانيين من الشرق والغرب.

حيث كانت نظرة الكهنة أن هذه الحملة تمثل اتجاها جديدا لمسار الحركة الصليبية إلى مصر بدلا من الشام وذلك لأمرين الأول أن احتلال الموانئ سيجعل منها بطاقة رابحة بيد الصليبيين للمقايضة واسترجاع بلاد الشام من المسلمين، أما الأمر الثاني: هو القضاء على الدولة الأيوبية في مصر كونها مصدر القوة والزعامة والمقاومة وحصن الاسلام ومصدر الخطر الذي يهدد دوما القوى الصليبية في الشام بفضل طاقاتها البشرية والاقتصادية، فضلا عن أطماع التجار الايطاليين، الذين ساندوا المندوب البابوي بلاجيوس، ووجهوا أنظارهم نحو مصدر

[1]-سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ص 963.

[2]-جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، مخرج الكروب في أخبار بني أيوب، الجزء الثالث، تحقيق: جمال الدين شيال، الناشر دار العلم، القاهرة، د ت، ص 258.

لموقعها الجغرافي على البحر المتوسط والبحر الأحمر، وتحكمها في أهم الطرق التجارية الهندية، كما اعتقدوا أن بإمكانهم تحويلها إلى قاعدة تجارية تكفل لهم السيادة على تجارة العالم[1].

ولكي يضمن البابا تنفيذ هذه الأهداف وقيام الحملة في الموعد المحدد، قام بإرسال الدعاة والمبشرين للدعوة في كافة أرجاء الغرب حتى يعملوا على تهيئة أذهان المسيحيين للانضمام إلى صفوفها وانتشر الوعاظ في معظم ربوع أوروبا لتهيئة الرأي العام الغربي عن طريق الخطب والاجتماعات لحشد الصليبيين ولجأ الوعاظ إلى دفع النبلاء على حمل الصليب ليكونوا قدوة للعامة، كما لجأ بعضهم إلى الاشارة بأن القوة الالهية قد وعدتهم بالنصر على المسلمين والمنابع الغربية مليئة بالأمثلة الدالة على استغلال النعرة الدينية لدى أهل الغرب للاشتراك في الحملة، ومن ذلك ما ذكره "روج ألف وندوفر" في كتابه تحت أحداث سنة 1217م من أنه في شهر ماي من السنة المذكورة (صفر 614هـ) ظهر في السماء السيد المسيح مصلوبا على خشبة الصليب ثلاث مرات في ثلاث مناطق متفرقة بمقاطعة كولونيا بألمانيا، الأمر الذي جعل الشعب الأوروبي يهب عن بكرة أبيه للانضمام إلى صفوف الحملة وتخليص بيت المقدس، ويضيف الكاتب بتفاصيل هذه الظاهرة قائلا: أنه لاح في السماء شيء أشبه ما يكون بالصليب في ثلاثة أماكن، الأول تجاه الشرق وكان الصليب أبيض اللون والثاني تجاه الجنوب وبنفس اللون والشكل، أما الثالث فكان يتوسطهما ولكن لونه كان أسود، والصليب الأوسط الأسود هو الذي يمثل السيد المسيح مصلوبا، ويؤكد موضحا أن المسيح كان مثبتا عليه، وقد دقت المسامير في يديه وقدميه بينهما رأسه متدلية إلى الأسفل، ويقول أن هذه الظاهرة تكررت أكثر من مرة في سماء المقاطعة، وفي إحدى المرات ظهر بالقرب من الشمس صليب أزرق اللون و أن كثيرا قد شاهدوه.

ومن الواضح أن مثل هذه الظواهر هي أقرب إلى الأساطير والخرافات التي كان المسؤولون في الغرب يستغلونها لتحريك الشعور الديني لدى مواطنيهم ضد المسلمين في وقت كان عامة الشعب في الغرب الأوروبي واقع في الجهل، كما كانت الكنيسة الكاثوليكية متسلطة على مصائر الأفراد تحركهم كيفما تشاء[2].

---

[1]-مصعب نجم حمادي، دور التنظيمات الدينية العسكرية في حروب الصليبيين ضد مصر 558-648هـ/1162-1250م، المجلد السابع، مجلة كلية العلوم الاسلامية، العدد الثالث عشر، الموصل، 1434-2013م، ص 19-20.

[2]-محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية (1096-1291م)، دار المعرفة الجامعية، 2007، ص 232،233.

ب/تطورات الحملة:

كان البابا أنوسنت الثالث يعمل منذ تحولت الحملة الرابعة عن أهدافها الأصلية على هيئة الفرصة لحملة صليبية كبرى يحقق بها ما تقدم وما تأخر من برنامجه البابوي، فأرسل مندوبيه إلى أنحاء غرب أوروبا من سنة 1213م، و أرسل هذا الأخير سنة 1216م إلى السلطان العادل مُحَمَّد إنذارا يهدد بقرب وصول الحملة التي تم إعدادها للاستيلاء على مصر، إذا هو لم يدرك نفسه بتسليم هادئا بارا بغير قتال، غير أن البابا مات في تلك السنة، وخشي الملك "حناسرين" أن يؤدي ذلك الحادث إلى تأجيل سير الحملة إلى الشرق[1].

فكتب إليه البابا "مونوريوس الثالث" يؤكد له أنه واصله قريبا لا ريب فيه، فلم ينتظر الملك حنابرين بل قام ببعض عملياته الحربية الوقائية بعد انتهاء أجل الهدنة بينه وبين السلطان العادل مُحَمَّد، دون أن يستعين بأحد ثم وصل إلى عكا في 1218م عدد كبير من سفن فريزيا (هولندا الحالية) بفئة أخرى من الجند والعتاد الحربي، ووصلت أنباء مع هذه السفن تخبر بأن الجزء الأكبر من هذه الحملة وهو ما أعده "البابا مونور يوس" نفسه وشيك الوصول إلى عكا.

وسمع السلطان العادل مُحَمَّد بكل هذه الأخبار وهو بدمشق، فلم يصدق أولا أن الصليبيين وخاصة الملك "حنابرين" سوف ينقلبون إلى الحرب بعد الهدنة، بل اعتقد كما اعتقد ابنه ونائبه في مصر وهو الكامل مُحَمَّد أن الزعامات الصليبية في غرب أوروبا والشرق سوف تجنح إلى السلم جنوحا طويلا بعد أن وضحت ثمرات العلاقات السلمية في ميادين التجارة الدولية، وبعد ان انصرفت المغامرات الصليبية إلى أقاليم الدولة البيزنطية.

ولذا تفاجئ السلطان العادل مُحَمَّد وابنه الكامل بوصول قوات صليبية كبيرة من عكا بحرا بقيادة الملك "حنابرين" إلى الشواطئ المصرية ونزول هذه القوات عند قرية بورة، ثم زحفها على الشاطئ البحري حتى الشمال الغربي قبالة دمياط. وأسرع العادل إلى إعداد جيش بالشام إلى حين زحف الكامل مُحَمَّد بالقاهرة شمالا بما لديه من القوات المصرية الأيوبية[2].

---

[1]-مُحَمَّد مصطفى زيادة، حملة لوسيع التاسع على مصر وهزيمة في المنصورة، الطبقة الأولى، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، 2000، ص 44.

[2]-المرجع السابق، ص 44، 45.

وصلت صرائب الحملة الخامسة عام 615هـ-1218م في عكا وصولا إلى مدن الشام، ثم تغيرت الأنظار إلى مصر، وتمكنوا من النزول على بر بحيرة دمياط حتى صار النيل بينهم وبين البلد، فبنوا أسوارا[1] وخنادق وشرعوا في قتال أهل دمياط، حيث تمتعت هذه الأخيرة بحصانة فائقة بفضل برجها المنيعفي وسط النيل، وقد وصف أبو شامة هذا البرج بقوله: أنه برج عال مبني في وسط النيل ودمياط بحذائه على حافة النيل من غربه وفي ناحيته سلسلتان، تمتد إحداهما على النيل إلى دمياط وأخرى عن النيل إلى الجيزة، فتمنع على سلسلة عبور المراكب من ناحيتها أن أريد ذلك حين قتال العدو.

وقد حاول الفرنج الزحف نحو برج السلسلة إلا أن الملك الكامل تصدى لهم، إلا أنهم نجحوا في عبور البرج حتى تمكنوا منه بعد أربعة أشهر متواصلة من الحصار، قام الملك الكامل بالتصدي للفرنج بعد نجاحه في اجتياز برج السلسلة، فوضع جسرا عضيما لمنع سفنهم من العبور ، ولكنهم قاتلوا حتى تمكنوا منه ثم وضعوا أمامهم عوائق أخرى، وعندما استعصى عليهم العبور قصدوا خليجا قديما للنيل كانت تجري فيه المياه يدعى بؤرة فحفروه وانزلوا مراكبهم فيه حتى دخلوا جيزة دمياط، وقابلوا ملك دمياط لكنهم لم ينالوا منه شيئا إلا أن وفاة الملك العادل كانت سببا في احتلال الفرنج العادلية على أثر التمرد الذي حصل من بعض أمراء الجيش، هذا ما ساعد الفرنج على عبور النيل إلى دمياط دون قتال سنة 615هـ/1219م[2]، بقيت جذور الحرب مشتعلة بين المسلمين والفرنج على دمياط حتى 618هـ-1221م إلا أن عزائم الفرنج قوية في هذا العام كثرة النجدات التي وصلت إليهم وكذلك الحال بالنسبة للملك الكامل فقد وصلته نجدات من أخويه الأشرف والمعظم ومن صاحب حماة وحمص وبعلبك فتقاتل الفرقان برا وبحرا وازدادت عساكر المسلمين على الفرنج ومع ذلك بقيت رسائل الصلع متوددة بين الجانبين.

تقدم المسلمون على الفرنج بعرض يضمن تنازلهم عن القدس والمدن الشامية مقابل تسليم دمياط إلا أن الفرنج امتنعوا عن ذلك وطلبوا عوضا عن خراب أسوار القدس أدى رفض الفرنج بالتنازلات التي قدمها المسلمون إلى استمرار القتال[3].

---

[1]-الصلابي علي محمد، الأيوبيون بعد صلاح الدين والحملات الصليبية من الرابعة إلى السابعة، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2008، ص 143.

[2]-لؤي البواعنة، دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الاسلامي (490هـ-648هـ/ 1097م-1250م)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006م، ص 265، 266.

[3]-محمد مصطفى زيادة، المرجع السابق، ص 44، 45.

ج/أسباب فشل الحملة الصليبية الخامسة:

أما عن أسباب فشل الحملة الصليبية الخامسة فيرجع إلى عدة عوامل بعضها يتعلق بالجانب الصليبي والبعض يتعلق بالجانب الأوروبي والبعض الآخر يتعلق بالجانب الاسلامي، كما أن بعض هذه الأسباب الجوهرية غير مباشر والبعض الآخر ثانوي مباشر، وقد تكاثفت كلها معا في إلحاق شر أنواع الهزيمة بالصليبيين.

أما ما يتعلق بالجانب الاسلامي فيمكن رصد العوامل التالية:

-الخطط العسكرية الجيدة التي وضعها الكامل مُحَمَّد ونفذها جنوده، فقد أعد في بادئ الأمر، دفاع العادلية الذي صمد لمدة ثمانية أشهر، لكنه اضطر للتراجع نتيجة مؤامرة ابن المشطوب التي أتاحت القوات الصليبية العبور إلى الضفة الشرقية وحصار دمياط، كما تمكن من تطويق الصليبيين بحرا بواسطة السفن التي سيرها في بحر المحلة وضرب مقدمة ومؤخرة الأسطول الصليبي، بالاضافة إلى حسن اختيار الوقت المناسب لتفجير السدود والجسور وإغراق السفن الصليبية.

-تعاون الملوك الأيوبيين، فقد أدى المعظم عيسى دورا بارزا في إحباط مؤامرة ابن المشطوب ولم يتوانى لحظة عن إنجاد أخيه وتولى الضغط على الصليبيين بمهاجمة ممتلكاتهم في بلاد الشام وهدم القلاع الاسلامية خشية من استيلاء الصليبيين عليها وتركها في حالة يتيسر على المسلمين استردادها إذا ما سقطت في أيدي هؤلاء وكذلك فعل الأشرف موسى[1].

-دعم الجبهة الاسلامية بالمال والجنود والعتاد وإقامة التحصينات الكافية في الأماكن المناسبة.

وفيما يتعلق بالجانب الصليبي فيمكن رصد الملاحظات الآتية:

-أخطأ رجال الدين في إدارة الحملة، كما انتابهم الغرور والاعتزاز بالنفس، وعلى رأسهم المندوب البابوي "بيلاجيوس" الذي وصفته المصادر بالغباء، والعجرفة وعدم الحيلة، فضلا عن تشبثه برأيه، وقد تجاهل وضعه كرجل دين وتصرف كقائد عسكري ولم يسمح للخبراء العسكريين مشاركته.

-الاختلاف في وجهات النظر بين الصليبيين بسبب سوء تصرف المندوب البابوي وبخاصة بينه وبين يوحنا برين الذي هدد بترك الحملة أكثر من مرة وقد أدى هذا الاختلاف إلى إضاعة الفرصة الذهبية التي أتيحت

[1]-الصلابي علي مُحَمَّد، المرجع السابق، ص 146.

لهؤلاء لتحقيق هدف الحملة وبخاصة بعد أن عرض عليهم الكامل مُحَمَّد شروطا سخية للجلاء عن دمياط والواضح أن موقف كلا الرجلين كف عن أطماعهما وتطلعاتهما إلى الزعامة والقيادة، مما اضر بالحملة ضررا بالغا.

-جهل الصليبيين بالوضع الطبيعي لأرض مصر، والخطأ الذي ارتكبوه باختيار طريق الزحف نحو القاهرة، وهو الطريق المحاذي لفرع النيل الشرقي. على الرغم من علمهم بمواعيد ارتفاع وانخفاض المياه، إذا كان يعتبرض هذا الطريق الكثير من النزع والقنوات المتفرعة التي تشكلت كمائن أو قفت تقدم جيشهم.

-عدم استغلال عامل الوقت، فلو أن الصليبيين بدؤوا زحفحهم على القوات الاسلامية، عندما كانت ترابط في فارسكور، مما تسبب في قتل المئات من الصليبيين، كما كانت هذه القوات ترحل إلى بلادها متى يحلولها غير عائبة الأوامر التي تصدر عن قادتها.

-الصراعات الداخلية التي نشأت بين أفراد الجيش الصليبي حول تقسيم الغنائم وقد أدى إلى صدام مسلح بينهم[1].

ومن جهة أخرى ما تعلق بالجانب الأوروبي، يمكننا حصرها في عدة نقاط منها:

-سيطرة البابا "هونوريوس " على الحملة حتى لا تتعرض لما تعرضت له الحملة الصليبية الرابعة، لذا منح مندوبه صلاحيات مطلقة تعلو على صلاحيات القادة الزمنيين والخبراء العسكريين.

-وكذا أخطاء رجال الدين وعلى رأسهم المندوب البابوي "بلاجيوس" الذي تناسى وضعه في الحملة كمندوب للبابا وليس قائدا عسكريا وتدخل في اتخاذ القرارات العسكرية، وأخذت الخلافات بين الملك "جان دي برين" والمندوب البابوي، مما أدى إلى ازدواج القيادة في الحملة وقد أدى هذا الازدواج مع اختلاف الآراء لضياع تحقيق أهداف الحملة.

-الصراع الدائم بين ملوك أوروبا من أجل تدعيم مراكزهم، وعجز البابا عن حملة الامبراطور فريدريك الثاني، السفر إلى دمياط واكتفى بمعاتبته مع الأمراء الذين ساندوه[2].

[1]-الصلابي علي مُحَمَّد، المرجع السابق، ص 146،147.
[2]-الصلابي مُحَمَّد علي، المرجع السابق، ص 147، 148.

-ومن تطورات الأحداث تنازل السلطان الكامل عن كل ما فتحه صلاح الدين بالدماء و جهاد سنوات عدة، ولم يكن الأمر بالنسبة له أكثر من مجرد صفقة يتنازل فيها عن القدس وغيرها مقابل رحيل الصليبيين عن دمياط ليتحقق له السلام الذي يمكنه من مواصلة نضاله ضد الأيوبيين الآخرين، ورغم هذه المفاوضات كان الفرنج رفضوه وعادت الأعمال العسكرية مرة أخرى تشعل مسرح الأحداث وبسنة 1219م اقتحم الغزاة دمياط وارتكبوا بهاواحدة من مذابحهم الشهيرة[1].

ولكن الذي فات الكامل أن يدركه في دمياط أدركه في المنصورة، فكانت النجدات والمساعدات تصل إليه باستمرار بقيادة إخوته وأقربائه الأمراء الأيوبيين في الشام إلى جانب المصريين من أهل القاهرة ومصر، ومن الناحية الثانية وصلت إلى الصليبيين إمدادات وفيرة من أوروبا والإمارات الصليبية في الشام فقوي مركزهم أمام دمياط.

وكما سلفنا سابقا اقتحمت ونزلت القوات الصليبية أمام دمياط وناصبوها الحصار رم مدة طويلة وحدث أن مات الملك العادل (615هـ-1218م) أثناء الحصار، فدخل الاضطراب على الجيوش الاسلامية، كان لهذه الاضطرابات فرصة للصليبيين والتضييق على دمياط، والتغلب على تحصيناتها حتى استولوا عليها (شعبان 616هـ-نوفمبر1219م)، وبعد مدة قرروا الزحف والتوجه إلى القاهرة.

واستطاع الملك الكامل ابن الملك العادل أن يرجع الأمور إلى معتادها فاستقام له الأمر بمصر وأمسك بزمام السلطة وبعث إلى إخوته أمراء الشام مستنجدا بهم ضد الصليبيين واستعد لملاقاة الصليبيين في المكان الذي يسمى المنصورة[2].

تجهز الملك الكامل لملاقاة الصليبيين قرب المنصورة وصمد لهم هناك واستمر القتال محتدما بين الطرفين، وخشي الملك الكامل تفوق الصليبيين واحتلالهم القاهرة فأجرى معهم مخابرات في الصلح، وعرض عليهم تسليم بيت المقدس وعسقلان وطبرية واللاذقية في مقابل تسليمهم دمياط والخروج من مصر، ولكن الصليبيين لم يرضوا بهذا بل طلبوا زيادة على ذلك تسليم حصن الترك وتعويض بثلاثمائة ألف دينار تعويضات عن تخريب بيت المقدس، وهكذا أضاع القادة الصليبيين فرصة لا تعوض وأغراهم عنادهم بمهاجمة القاهرة، وصادف أن

[1]-مصطفى زيادة، المرجع السابق، ص 49، 50.

[2]-العروسي المطوي محمد،الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،ط2، دار الغرب الاسلامي، تونس، 1982، ص ، 106،107.

كان وقت زمن فيضان النيل، فقطع المصريون الجسور واندفعت المياه في الأرض المنخفضة التي كان فيها الصليبيين، فغمرتهم المياه، وحصرتهم من كل جانب، وأصبحوا في الماء والوحل وانتصبت قوات إسلامية في المنفذ الوحيد الذي يمكن للصليبيين الخروج منه فأسقط في أيديهم وركنوا إلى الاستسلام والخروج من مصر والانسحاب عن دمياط بدون مقابل (رجب 618هـ-أوت 1221م)[1].

تداعيات الحملة الصليبية الخامسة:

انتهت الحملة الصليبية الخامسة بانتصار أيوبي حاسم، وعندما اضطر السلطان الكامل إلى القتال كان النصر حليفه ولكنه لم يتعلم من دروس الحملة الصليبية الخامسة الفاشلة فقد ظل على سياسة المهادنة والتخاذل وسعى إلى السلام مع الصليبيين لكي يتفرغ إلى الحرب ضد المسلمين من أقاربه الأيوبيين، ولكن أوروبا تعلمت الدروس كما تعلمها الصليبيون المسطونون في فلسطين فقد كان الروح الصليبية ما تزال حية في أوروبا.

ومن ناحية أخرى كانت الحملات في القرن 7هـ-13م موجهة ضد مصر وهو الدرس العسكري الذي تعلمه الغرب منذ الحملة الصليبية الثالثة في العقد الأخير من القرن الثاني عشر ميلادي، وهكذا جاءت الحملة الخامسة ضد دمياط وانتهت بخروج الصليبيين، ولأن فشل حملة دمياط كان في التحليل الأخير ضربة موجعة لهيبة البابوية في عز صراعها مع الامبراطورية لتأكيد هيمنتها في أوروبا فقد أخذ البلاط البابوي يضغط بشدة من أجل شن حملة صليبية جديدة فكانت الحملة الصليبية السادسة[2].

المبحث الثاني: الحملة الصليبية السادسة

أ-بواعث الحملة:

لم يحاول الصليبيون أبدا لاستجابة لسياسة المهادنة التي سار عليها الكامل الأيوبي، ولم يكن ذلك ممكنا في ضوء فهم حقائق الصراع الاسلامي الصليبي الذي كان لابد أن تنتهي بالقضاء على أحد الطرفين لذلك كانت الحملة الصليبية السادسة 1228م-1229م في عهد السلطان الكامل، وهي الحملة الصليبية العجيبة

[1]-المرجع السابق، ص 107.

[2]-جليلة حسن محمد أحمد، الصراع الأيوبي وأثره في سقوط الدولة الأيوبية (589-650هـ/1193-1252م) مذكرة ماجستير الآداب في التاريخ، جامعة شندي ، كلية الدراسات العليا، كلية الآداب، قسم التاريخ، أفريل 2010، ص 78، 79.

على بيت المقدس، وكان قوامها استمائة فارس فقط فقط ولم ترق فيها قطرة دماء والأعجب أنها جاءت استجابة لرغبة الملك الكامل مُحَّد نفسه وباتفاقية وتفاهم بينه وبين فريدريك الثاني فحقق بذلك هذا الأخير ما عجزت عن تحقيقه الحملة الصليبية الثالثة في الشام رغم أنها جاءت ملعونة من البابا وعلى رأسها إمبراطور محروم من الكنيسة[1].

وقد أخذ دعاة الفكرة الصليبية في إثارة أوروبا لإعداد حملة أخرى في ذلك الحين، كانت قد تحسنت مكانة الملك الكامل بعد خروج الصليبيين من دمياط عام 618هـ/1221م، واكتسب احترام العالم الاسلامي وفرض سلطانه على الممالك الأيوبية وتوقع أن يسير الأمراء الملوك الأيوبيين في فكه وأن يؤيدوا مشاريعه وسياسته المستقبلية غير أن أخاه الملك المعظم حاول الخروج على طاعته والتطلع لتوسيع أملاكه، إلا أن التوتر بين الملك المعظم وأخويه الكامل والأشرف استمر إذ اعتقد الملك المعظم أن أخويه السابقين تمالا عليه وترجم ذلك لخلاف شديد[2].

ب-تطورات الحملة:

كانت السلطنة العظمى التي شادها صلاح الدين الأيوبي مسرحا للخلافات والاضطرابات بعد موته وخصوصا بين الملك المعظم، كما ذكرنا سابقا حيث تحالف الملك المعظم ضد أخويه (الكامل والأشرف) مع جلال الدين ابن خوازر مشاه طريد جنكيز خان زعيم التتار فقد تفاقم أمر التتر في هذا الوقت وأخذوا يزحفون على المشرقالاسلامي، فتغلبوا على الدولة الخوارزمية ووصلوا إلى شرقي العراق، وخاف الملك الكامل (سلطان مصر) من هذا التحالف الذي أمضاه أخوه المعظم مع جلال الدين بن خوارزمشاه الذي لا تقل قساوة جيوشه وذهبهم وتخريباتهم عن أعمال التتر القاسية[3].

ونتيجة لهذا الخوف من التحالف بعث الملك الكامل إلى الامبراطور فريدريك الثاني يستقدمه إلى عكا ليشغل أخاه المعظم عما هو فيه، ووعده بيت المقدس، وكان رسوله الموفد لهذا الغرض فخر الدين ابن الشيخ وجدت أن مات المعظم عما هو فيه، ووعده بيت المقدس وكان رسوله الموفد لهذا الغرض فخر الدين ابن

[1]-سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ص 696.

[2]-علي الصلابي، موسوعة الحروب الصليبية، ص 240.

[3]-العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص 114، 115.

الشيخ ووجدت أن مات المعظم قبل مجيء فريدريك الثاني لأنه مات في ذي القعدة 624هـ-نوفمبر 1227م فانتهى بذلك أكبر منافس للملك الكامل ولكن رغم هذا فقد صارت الأمور إلى غايتها.

كان فريدريك الثاني إمبراطورا على الدولة الألمانية الغربية، كان قد نذر عند اعتلائه العرش الامبراطوري سنة 1215م أن يذهب في حملة صليبية ألمانية إلى الشرق ضد المسلمين ، ولما كان فريدريك يميل للمسلمين ويعطيهم حقهم من الاحترام والتقدير لذلك لم لم يجد الدافع الذي يدفعه للخروج من بلاده على رأس حملة صليبية ضدهم، ومن ثم أخذ يعتذر للبابا مرة بعد مرة، والبابا يقبل عذره وبعدما أصاب الحملة الصليبية الخامسة من الفشل حاول البابا هونوريوس الثالث أيوجد الدافع لدى فريدريك للخروج في حملة صليبية ضد المسلمين، وان يزيد في توطيد صلة فريدريك بالأراضي المقدسة في فلسطين، فرتب البابا زواج فريدريك من بولاندانيا حنادي برين ووريثة عرش مملكة بيت المقدس الصليبية، واشترط البابا أن يتم الزواج في الشام، وقد نفذ فريدريك رغبة البابا وتم زواجه من بولاند، وعقب هذا الزواج اتخذ فريدريك لقب بيت المقدس باعتباره من حقوق زوجته.

أصر بعد ذلك البابا بريجوري التاسع (1241-1227م) على ضرورة رحيل الامبراطور إلى الشرق فورا، وإلا تعرض لعقوبة الحرمان ولم يجد الامبراطور فريدريك الثاني مفرا من الخروج في خريف سنة 1227م قاصدا بلاد الشام، خصوصا بعد أن اتصل به الملك الكامل الأيوبي وأرسل له سفارة كما ذكرنا سابقا ووعده بتسليمه مدينة القدس مقابل بذل المساعدة العسكرية له ضد شقيقه المعظم وبذلك أوجد للامبراطور الدافع الذي يخرج من أجل تحقيقه.

لم يكن استنجاد الملك الكامل هو الظرف الوحيد الذي هيأ لقيام الامبراطور فريدريك الثاني بالجملة بل الالحاح المسبق للبابا "هونوريوس الثالث" على فريدريك الثالث للوفاء بوعده والأخير يتباطئ، حيث أنه في عام 624هـ/1227م أراد أن يلبي رغبة البابا فأبحر من ميناء جنوب إيطاليا على رأس حملة ضخمة ولكن الحمى أصابته وكذلك جيوشه، فعاد الامبراطور لبسترد صحته وأثناء ذلك مات البابا "هونوريوس الثالث" وتولى بعده البابا جريجوري التاسع، فاعتقد هذا الأخير أن فريدريك يتمارض ويعتمد المراوغة فأصدر قرار حرمان من

الكنيسة ضده، لقد فتح قرار الحرمان باب النزاع بين البابوية والامبراطورية ولكن فريدريك الثاني أدرك أن مصلحته تقتضي بالقيام بالحملة على بلاد الشام حتى يفوت على البابا فرصة إظهاره بصورة مسيحي عاق[1].

أقلع الامبراطور بحملته الصليبية في صيف 62هـ/1228م على رأس جيش صليبي صغير قوامه ستمائة فارس فقط وأسطول هزيل استجابة للدعوة التي تلقاها من الملك الكامل بمنحه القدس ولم ينس أنه خرج من بلاده محروما وماض الكنيسة وأنه اعتمد وعود الكامل له بإعطاء بيت المقدس لذلك لم يحضر جيشا قويا.

عرج فريدريك الثاني على قبرص في طريقه إلى الشام، واستقبل استقبالا طيبا وأصبحت الجزيرة تابعة له وفقا لقانون الاقطاع الحرماني ثم أبحر في قبرص قاصدا عكا فوصلها بعد أربعة أيام ولعله من الغريب أن البابا أخذ يعمل على ألا ينجح الامبراطور فريدريك الثاني في احتلال بيت المقدس، حتى لا يكسبه ذلك فرقا ونصرا بعدما حرم بل أن البابا حرض الملك الكامل على عدم تسليم المدينة المقدسة للامبراطور، كما استغل الامبراطوروفاة الملك المعظم سنة 624هـ/1226م فقام سنة 625هـ/1227م بالاستيلاء على صيط التي كانت مناصفة بين المسلمين والافرنج[2].

المفاوضات بين الملك الكامل والامبراطور فريدريك الثاني:

عندما وصل الامبراطور إلى عكا بعث رسوله إلى الملك الكامل وأمره أن يقول له:" الملك يقول لك: كان الجيد والمصلحة للمسلمين أن يبذلوا كل شيء.... ولا أجيء إليهم والأن فقد كنتم بذلتم لنائبي –في زمن حصار دمياط– الساحل كله، وإطلاق الحقوق بالاسكندرية وما فعلناه وقد فعل الله لكم ما فعل من ظفركم، وإعادتها إليكم ومن نائبي إن هو إلا أقل علماني، فلا أقل من إعطائي ما كنتم بذلتموه له.

وحار الملك الكامل في الموقف الذي يجب أن يتخذه من الامبراطور لأنه هو الذي دعاه إلى الشام وألح في المجيء إليها ليناصره على أخيه المعظم واعدا إياه بقسم من أملاك هذا الخصم، فلما وصل إليها لم يعد في حاجة إلى مساعدته لأن المعظم كان قد توفي وغدت الأملاك الموعودة جزءا من مملكته وأصبح من واجبه أن يدافع عنها إن لم يكن بعامل الرغبة في المحافظة عليها فبعامل الحفاظ على سمعته أمام جماهير المسلمين يصف

[1]–علي الصلابي، موسوعة الحروب الصليبية، ص 243، 244.

[2]–سعيد عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ص 402.

ابن واصل الموقف فيقول: " تحير الملك ولم يمكنه دفعه ولا محاربته لما تقدم بينهما من اتفاق، ومن هنا أراد الملك الكامل أن يطيل أمد المفاوضات بينه وبين فريدريك.

وأدرك الامبراطور أن موقف الملك أصبح على غير ما كان ينتظر ولم يبقى للامبراطور فريدريك الثاني أمام ذلك الموقف الحرج سوى سلاح المفاوضة والاستعطاف واستخدام كافة وسائل الديبلوماسية للوصول إلى غرضه والعودة إلى الغرب الأوروبي مرفوع الرأس، فأرسل إلى الملك الكامل سفارة من رسولين تحمل له هدايا نفيسة من منسوجات حريرية وأواني ذهبية وفضية، مطالبا إياه بتحقيق وعدد تسليم بيت المقدس، غير أن السلطان الكامل بادله بالرفض[1].

وإزاء تنكر الكامل لوعوده، ساء موقف فريدريك الثاني لاسيما بعد أن جاءته الأخبار من الغرب بأن البابا استغل غيابه واعتدى على ممتلكاته، فأخذ يرجو الملك الكامل ويستعطفه حتى قيل أنه كان يبكي في بعض مراحل ممتلكاته وليس أدل على تذلل الامبراطور من الكلام الذي جاء في رسائله إلى الملك الكامل: "أنا أخوك واحترام دين المسلمين احترامي لدين المسيح، وأنا وريث مملكة بيت المقدس، وقد جئت لأضع يدي عيها ولا أروم أن أنازعك ملكك فلنتجنب إراقة الدماء"، واستمر الامبراطور على هذا الحال من الاستعطاف، ولم تلبث الاستعطافات أن أتت أكلها وأفلحت في التأثير على الكامل.

وأثناء ذلك شرع فريدريك الثاني في عمارة صيدا وقام بتحصين يافا، وكان ذلك بمثابة مظاهرة عسكرية جعلت الملك الكامل يخشى قيام فريدريك وبقية الجموع الصليبية بالشام يعمل حربي ضده وهو الشعور الذي فسره المقريزي بقوله: "إن الكامل خاف من عائلته عجزا عن مقاومته"، وكان الدخول في حرب ضد الامبراطور والصليبيين عندئذ يعني أنه وقع بين ثلاثة أعداء هم (الصليبيين، وابن أخيه الملك الناصر والخوارزمية التي استنجد بها الناصر داود من ناحية ثانية)، وفي ضوء هذه الحقائق كلها وتحت تأثير رسول الملك الكامل في المفاوضات الأمير فخر الدين يوسف بن الشيخ، تنازل عن بيت المقدس[2].

[1]-الصلابي، موسوعة احروب الصليبية، ص 245، 246.

[2]-المرجع السابق، ص 247.

صلح يافا:

عقد الملك الكامل سنة 626هـ/1229م اتفاقية مع الامبراطور فريدريك الثاني عرفت بصلح يافا، وكتبت صيغة الاتفاقية باللغتين العربية والفرنسية ووقع عليها الطرفان وحلفا على التزامها ووقع الامبراطور عليها بعد أسبوع، فيما وقع على بنودها الملك الكامل في الوقت نفسه، وهي بمنع أي حملة صليبية طوال عشر سنوات من أوروبا[1] ونصت بنود المعاهدة على النقاط التالية:

-قيام الملك الكامل بتسليم القدس إلى الامبراطور على شريطة أن يبقى خرابا وللامبراطور فريدريك وحده دون سواه أن يعيد بناء أسوار المدينة.

-إطلاق سراح الأسرى المسلمين والصليبيين من كلا الجانبين.

-تكون جميع قرى المسلمين للمسلمين ولهم والي يكون مقامه في مدينة البيرة.

-أن يكون الحرم الشريف بما حداه من الصخرة المقدسة والمسجد الأقصى بأيدي المسلمين وشعار المسلمين فيه ظاهر ولا يدخله الفرنج إلا للزيارة ويتولاه قوام المسلمين.

-تحصل مملكة بيت المقدس على مدينة القدس ذاتها وبيت لحم مع شريط من الأرض يخترق مدينة اللد وينتهي عند يافا بالاضافة إلى الناصرة وغرب الجليل بما اشتمل عليه من حصن "مونتفورت وتبنين"[2]، ويرجع السبب في التنازل عن هذا الشريط الخوف من أن يغتال الصليبيين أحد المسلمين.

-لا تسري هذه المعاهدة على إمارتي إنطاكية وطرابلس، وكان يحكمها بوهمند الرابع وقد تم ذلك بناء على رغبة الامبراطور لأن بوهمند قد سبب للامبراطور كثيرا من القلق.

وانتظمت الامور بين الملك الكامل والامبراطور فريدريك وآمن كل من المسلمين والصليبيين، أما بالنسبة للعالم العربي الاسلامي فقد رأى بحق أن الهدنة التي عقدها الكامل الأيوبي كارثة حقيقية، وكان رد الفعل الشعبي عنيفا ضد السلطان بعث سفراءه إلى كل مكان لتبر فعلته.

---

[1]-المرجع نفسه، ص 248، 249,

[2]-محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص 249، 295.

السلطان الصالح نجم الدين أيوب يعتلي العرش:

في سنة 635هـ/1239م مات السلطان الكامل، وبعد عدة تقلبات في الأحوال اعتلى عرش السلطنة في القاهرة ابنه الصالح نجم الدين أيوب سنة 638هـ/1240م وفي غمرة الحرب الأهلية والمنازعات التي اندلعت بين الأيوبيين في بلاد الشام ومصر والجزيرة، والتي انتهت باعتلاء الصالح أيوب عرش مصر انتهت ذات السنوات العشر وكان البابا جريجوري التاسع يستعد لهذا الموقف منذ صيف سنة 637هـ/1239م ولم تله جهوده استجابة كبيرة سوى في فرنسا حيث تجمع عدد من نبلائها.

وبعد رحلة عاصفة في المتوسط وصلت هذه الحملة إلى عكا في أول سبتمبر وفي غضون أسابيع قليلة تجمع جيش قوامه حوالي ألف من الفرسان، وفي نوفمبر من السنة نفسها 637هـ/1239م إلتقى هذا الجيش مع الجيش المصري قرب مدينة غزة في معركة قاسية كانت الهزيمة فيها من نصيب الصليبيين الذين تفرقوا بين أسيل وقتيل.

استعادة الصالح أيوب بين المقدس:

كان التنازل عن بيت المقدس صدمة مزلزلة للمسلمين الذين ترحموا على صلاح الدين وجنوده المجاهدين الذين بذلوا أرواحهم من أجل تحريره ليأتي الملك الكامل ليتنازل عنه للصليبيين دون مقاومة ومن ثم كان من أهم آمال المسلمين إعادة تحرير الأقصى.

وقد قيض الله للأمة السلطان المجاهد نجم الدين أيوب الذي عمل على تحرير المقدسات واستطاع بفضل أن يحرر المسجد الأقصى بمعاونة جنوده الخوارزمينن في صفر 641هـ يوليو 1244م، ليتحرر المسجد الأقصى نهائيا من أيدي الصليبيين ولم يجرؤ الجيش الصليبي أن يدخلها مدة سبعة قرون، حتى دخلها الانجليز خلال الحرب العالمية الأولى، وفي سنة 647هـ/1249م توارثت الأنباء عن قرب قدوم حملة جديدة تحت راية الصليب ضد مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا بهدف إقامة الحملة الصليبية السابعة.

المبحث الثالث: البحث الثالث: الحملة الصليبية السابعة

أولا بواعث الحملة:

عقب انتهاء الحملة الصليبية السادسة التي استهدفت مصر ظهرت شرارات لأندلاع حملة صليبية أخرى بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا بصفة خاصة و اهل الغرب الاوروبي بصفة عامة بهدف الاستيلاء و تحقيق الثأر لما نزل بالصليبيين من هزائم و إستعادة بيت المقدس و بلاد الشام.

سنة 643 /1245 عقد البابا مجمعا في مدينة ليون الفرنسية لمقاومة أطماع الامبراطور و لحق به أعضاء السفارة و قدموا تقريرا عن اوضاع الصليبيين في الشرق فقرر البابا اونستنت الرابع ارسال حملة صليبية جديدة لتدارك الموقف قبل فوات الاوان و كان عند الملك الفرنسي لويس التاسع من الدوافع ما حمله على الاشتراك بها بينما رفضت ألمانيا و ايطاليا عن مساندتها و يفعل الصراع الذي كان قائما أنذاك بين البابوية و الامبراطورية و الحقيقة أن الامبراطور فريديريك الثاني انتهج سياسة الازدواجية إتجاه الحملة . حيث قام بتزويدها بالمؤن عند مرورها بصقلية في طريقها الى قبرص كما احتفظ بعلاقات طيبة مع حلفاء الكامل مُحَمَّد ، فاتصل سرا بالصالح أيوب وأرسل اليه سفارة يعلمه بتحرك الصليبيين فتعددت و تفرعت أسباب هذه الحملة منها أسباب رئيسية و أخرى ثانوية ساعدت على التنفيذ[1].

لذا من أهم الدوافع الحقيقية التي أثارت المجتمع الغربي عامة وشعوب الملك الفرنسي خاصة و حضرت جميعها للثأر منها:

تعرض الصليبيين في الشرق الى مضايقات خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر ميلادي على يد الخوارزميين بشكل خاص و ضياع بيت المقدس منهم حيث استعادها الصالح أيوب بمساعدة الخوارزميين الذين نكلوا سكانها النصارى . ونهبوا دورهم و اموالهم حتى اضحى وضعهم مقلقا من وجهة النظر الصليبية وايضا قد انزل المسلمون ضربات قاسية بباقي الممتلكات الصليبية في بلاد الشام تمثل بعضها باستعادة الصالح أيوب. طبرية وعسقلان حتى أضحت باقي ممتلكاتهم و معاقلهم مهددة بالخطر و الضياع[2].

---

[1]–الصلابي مُحَمَّد ، موسوعة الحروب الصليبية، ص 295

[2]–مُحَمَّد سهيل طقوش ، تاريخ الايوبيين في مصر و بلاد الشام و إقليم الجزيرة ، دار النفائس ، الطبعة الأولى، 1420\1999 ، ص ص 377 ، 378

-أما فيما يتعلق بالعوامل الثانوية فلعل أهمها:

مرض لويس التاسع حتى اشرف على الموت ، و لما افاق من شدة المرض نذر إن منَّ الله عليه بالشفاء أن يحمل الصليب و يذهب لغزو الاراضي المقدسة و يرى بعض المؤرخين أن الملك الفرنسي حمل الصليب و تعهد بالقيام بحرب مقدسة لإنقاذ صليبي الشرق إثر رؤية ظهرت له أثناء مرضه فحواها انه رأى فيما يرى النائم شخصين يتقاتلان أحدهما مسلم و الاخر نصراني وقد انتصر المسلم ، ففسر هذه الرؤية بحاجة صليبي الشرق للمساعدة و ان الله اناط به هذه المهمة.

مساندة البابا اونستنت الرابع مشروع لويس التاسع فدعا الى الاشتراك بالحملة الصليبية السابعة، خشية ان يطغى نفوذ الملك الفرنسي الذي اشتهر بالورع و التقوى و عرف بمواقفه الحازمة حيال الكنيسة و رجال الدين على نفوذه كرجل دين ورئيس اعلى للكنيسة اللاتينية[1].

ثانياً: الإعداد للحملة:

تبنى البابا أنوسنت الرابع هذه الحملة وأعلن تأييده لها وكانت دعواه عاملاً فعالاً في إعدادها فضلاً عن لويس التاسع الذي أخذ على عاتقه مهمة النهوض بالحملة، وقد استغرق إعداد الحملة ثلاث سنوات، وفرضت ضرائب استثنائية على الجميع بما فيهم رجال الدين للإنفاق على الحملة، كما عقد لويس التاسع مجلساً كبيراً في باريس حضره كبار رجال المملكة والكنيسة ودعاهم إلى حمل الصليب والإنضمام إلى صفوف الحملة، ونجح في إثارة حميتهم الدينية وبادر بالإنضمام للحملة أخوته الثلاثة، روبرت كونت أرتو، والفونس كونت بواتيه، وشارل كونت أنجو، وعدد كبير من الشخصيات التي تركت فرنسا بمقاطعاتها المختلفة – تسهاهم – للإنضمام إلى صفوف الحملة، ومن جانب آخر قام لويس بتجهيز أسطول كبير لنقل الجنود والعتاد عبر البحر بعدما تقرر استبعاد الطريق البري حتى يضمن نجاح حملته واستأجر عدد من السفن من جنوه ومرسيليا لهذا الغرض، كما عمل لويس على توفير العتاد والمؤن فضلاً عن المال لتغطية نفقات الحملة، واستعان بالبابا في هذا الصدد لأن البابا هدد بإنزال قرارات الحرمان على كل من يخالف التعليمات التي أصدرها من أجل إعداد الحملة، وبعد أن انتهى لويس من المشاكل الخاصة بالنقل والتموين وموارد الحملة، عمل على تنظيم

[1]-المرجع نفسه، ص، 397.

مملكته وإقرار الأمن والنظام بداخلها قبل سفره، وأناب عنه في الحكم والدته الملكة بلانش، وأحضر من يعملون في بلاطه ليقسموا بمين الولاء والطاعة له وللملكة الأم أثناء غيابه[1].

رحيل الحملة إلى مصر: سنة 1548م ومن جنوب فرنسا أبحرت الحملة إلى جزيرة قبرص حيث مكنت بالجزيرة حوالي ثمانية أشهر، وخلال هذه الفترة تسربت أخبار الحملة إلى مصر، فاستعدت القيادة – الأيوبية – لمواجهة الغزاة وحصنت مدينة دمياط التي كانت تتوقع الهجوم عليها وزودت المدينة بالمقاتلة والمؤن وكان السلطان الأيوبي الصالح أيوب في بلاد الشام عندما وصلت إليه الأبناء بتحركات الصليبيين، فأسرع بالعودة إلى مصر بعدما عقد صلحاً مع صاحب حمص و نزل ببلدو اشموم طناح في الثالث في صفر عام 647هـ/ 1249م ليكون في مواجهة القوات الصليبية إذا ما وصلت إلى دمياط، وزاد الصالح أيود تحصين المدينة وإعداد الجيوش وعهد إلطائفة من بني كنانة لما عرف عنهم بالشجاعة لحماية المدينة من الداخل والخارج، كما أصدر أوامره إلى نائبه في حكم مصر حسام الدين بن علي لإعداد قطع الأسطول وإرسالها إلى دمياط تباعاً وأوفد السلطان الأمير فخر الدين يوسف مقدم العساكر على رأس جيش كبير إلى البر الغربي لدمياط "جيزة دمياط" حتى يكون في مواجهة الصليبيين عند وصولهم إلى بر المدينة الغربي، كما حدث في الحملة الصليبية الخامسة[2].

وعندما خرجت الحملة من ميناء إيجسمورت جنوب فرنسا أسند لويس التاسع قيادة الأسطول إلى الجنوبيين لخبرتهم في شؤون الملاحة، وتقدم الأسطول السفينة التي تحمل عمل القديس دنيس شعار فرنسا، ورست الحملة في ميناء ليماسول جنوب قبرص في السابع عشر من سبتمبر عام 1248م وفي الوقت نفسه أبحر بعض الصليبيين ومن بينهم مؤرخ الحملة جوانفيل من مرسيليا في سبتمبر من العام نفسه ولحقوا بإخوانهم في قبرص بعد رحلة شاقة وفي قبرص تناقش الصليبيون في تحديد وجهة الحملة وبعد دراسة مستفيضة تقرر أن تكون مصر هدف الحملة بسبب ما أدركه الصليبيون من أهمية مصر لقوتها وثروتها وقيامها بالدفاع عن الأراضي المقدسة وأمضت الحملة في قبرص حوالي ثمانية أشهر (سبتمبر 1248م – مايو 1249م) رغم رغبة الملك في التقدم بسرعة نحو مصر ولكنه نزل عن رغبته لنصيحة قواده الذين أثروا الانتظار حتى يلحق بالحملة بقية الجيش الذي لم يصل بعد إلى قبرص، وقد عاد التأخير بالفائدة على القيادة الإسلامية في مصر لأنها سارعت

[1]- محمد سعيد عمران ، تاريخ الحروب الصليبية، ص 307

[2]-نفسه، ص 308.

بالاستعداد لمواجهة الحملة وأثناء وجود قوات الحملة السابعة في قبرص حدثت تطورات غاية في الأهمية أثرت على مجريات الحملة فيما بعد ومن هذه التطورات.

1-الأخبار التي وصلت إلى مصر معلمة بأخبار الحملة الصليبية السابعة وقد كان ذلك عن طريق الإمبراطور فريدريك تحذر الصالح أيوب من هذه الحملة، حيث يقول فريدريك: إنه وصل "ريد فرانسس" – لويسع التاسع – في خلق كثير، وقد اجتهدت غاية الاجتهاد على رده عن قصده وخوفته فلم يرجع لقولي فكن على حذر منه.

2-المصاعب التي رافقت الحملة منذ إبحارها من شواطئ فرنسا وحتى وصولها قبرص، ومنها الأمراض التي ألمت بالجيش الفرنسي، والخوف والضجر الذي رافق مسيرة الحملة، وقد عبر عن ذلك مؤرخ الصليبية السابعة جوانفيل بقوله: لم نعد نرى الأرض، ما نراه هو الماء والسماء وفي كل يوم تأخذنا الريح بعيداً عن الأرض التي ولدنا فيها ولاحقت الأمراض الجيش الفرنسي أثناء وجوده في قبرص ويشير أحد[1] المؤرخين، الأوروبيين إلى ذلك بقوله إن 240 من السادة وكبار القوم قد تعرضوا للموت بسبب المرض.

3-الاختلاف بين قائد الحملة والأمراء حول تاريخ التحرك إلى مصر وقد كانت الآراء ما بين الدعوة إلى التحرك السريع لهدفهم وهو مصر، ورأي آخر يدعو إلى التريث والبقاء في قبرص لفترة يتم خلالها استكمال الاستعدادات والراحة للجيش الصليبي، واستقر الرأي على تأخير موعد تحرك الجيش إلى فصل الربيع، وبذا تكون الحملة قد أمضت في قبرص من سبتمبر 1248 – مايو 1249م حصلت خلالها القوات الصليبية على بعض المساعدات من القبارصة.

4-ما وصل إلى لويس من أخبار عن صراعات بين القوى المسيحية في الشرق وبخاصة الصراع الذي نشب بين ملك أرمينيا وأمراء أنطاكية، وما كان لذلك من تأثير على الجبهة الصليبية التي يريد لويس التاسع أن تكون في يؤهلها لتقديم المساعدات له عند وصوله إلى مصر وبلاد الشام[2].

---

[1]-علي محمّد الصلابي، موسوعة الحروب الصليبية، ص 299.

[2]-نفسه، ص 300.

احتلال دمياط:

وفي اليوم التالي شرعت القوات الصليبية في النزول إلى جيزة دمياط، ولم يكن ذلك بالأمر الهين لضحالة مياه الشاطيء فاضطر المليون إلى ترك منهم الكبرى في عرض البحر، وانتقلوا إلى البر في قرابهم الصغيرة، وفي تلك الأثناء كانت القوات الإسلامية ترمي الفرنج بالرماح والسهام، وفي نهاية الأمر نجحت الحملة ونزلت على الأرض ، وظلت المناوشات بين المسلمين فانفتح والصليبيين على الشاطيء. ونتيجة لضربات الصليبيين تراجع قائد القوات فخر الدين بجيشه وعبر بعسكره إلى الجانب الشرقي من دمياط واتخذ طريقه إلى اشموم طناح، ونسي الجند في عجلتهم عند تراجعهم أن يحطموا الجسر الذي يصل بين البر الغربي والشرقي وتركوه على حاله، فاستولى عليه الصليبيون الطريق أمامهم إلى مدينة دمياط .

وإذا قمنا بتحليل الأسباب التي أدت إلى تراجع فخر الدين إلى أشموم طناح – غداة وصول القوات الصليبية . وليس إلى مدينة دمياط رغم حصانتها، فإن فهم الحقيقة يرجع إلى فخر الدين نفسه وليس إلى ضعف القوات الإسلامية، فقد كان فخر الدين كبير المطامح وكثيراً ما حدثته نفسه بالسلطنة. وكان فخر الدين قد أرسل برسالة إلى الصالح أيوب في أشموم طناح ولما تأخر الرد لبعض الوقت اعتقد أن السلطان قد مات لأن المرض كان قد اشتد عليه في الأونة الأخيرة، فاتجه إلى أشموم طناح المقر العسكري للسلطان ليستولي على السلطة. ويروي ابن واصل حول ذلك وحصل عند العسكر طمع بسبب مرض السلطان الملك الصالح نجم الدين أبوب ، فلم يكن لهم من يردهم ولا يردعهم، فرحل فخر الدين يوسف بن الشيخ إلى جهة أشموم طناح، ولم يبق للسلطان وقدرة على ضبط جنده، وقد اشتد طمعهم فيه، على أية حال عندما خلا البر الغربي للصليبيين ورحل المسلمون بعيداً عن دمياط فزع أهل المدينة وهربوا منها ولحقوا بالجند عند أشموم طناح، بعد ما خربوا المدينة حتى لا تقع غنيمة باردة في أيدي القوات الصليبية[1].

وفي صباح السادس من يونيه، الثاني والعشرين من صفر اتجه الفرنج إلى دمياط للاستيلاء عليها، ولما وجدوها خالية دخلوها دون قتال، وكان لسرعة سقوط دمياط في أيدي الفرنج آثاراً سيئة في صفوف القوات الإسلامية وعندما وصل خبر سقوط المدينة إلى مسامع السلطان تأثر تأثراً شديداً، علاوة على ما يعانيه من مرض، ولكنه ثار عندما علم بفرار بني كنانة وتخليهم عن الدفاع عن المدينة، فأمر بشنق ما يزيد عن خمسين

[1]–محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص 309

من كبار رجالهم، وكاد يأمر بقتل فخر الدين لانسحابه من جيزة دمياط ولكنه عدل لدقة الموقف. وبعد هذه الأحداث قرر السلطان التراجع من أشموم طناح جنوباً إلى مدينة المنصورة لحصانتها حيث كان النيل يحدها غرباً وبحر أشموم في الشمال ليفصل بينه وبين الصليبيين[1].

المراسلات و الردود بين السلطان صالح أيوب و الملك لويس التاسع :

قبل سيطرة القوات الصليبية على دمياط أرسل الملك لويس رسائل تهديد إلى الصالح نجم الدين أيوب يتضح من خلالها الثقة البالغة التي عبر عنها بمطالب طلبها من الطرف الأيوبي كدعوة الاستسلام وإرجاع الأراضي المقدسة للصليبيين، بل واعتبار الصالح أيوب أحد نواب لويس التاسع، وقد أوردت المصادر الإسلامية بعض نصوص هذه الرسائل، ومنها النص الذي ذكره صاحب كتاب كنز الدرر، وهو كالتالي، أما بعد فإنه لم يخف عنك أني أمين الأمة العيسوية، كما أني أقول إنك أمين الأمة المحمدية، وإنه غير خاف عنك أن أهل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا، ونحن تسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجل ونرمل النساء ونستأسر البنات والصبيان، ونخلي منهم الديار، وقد أبديت لك ما فيه الكفاية، وبذلك لك النصح إلى النهاية، فلو حلفت لي بكل الإيمان ودخلت على القسوس والرهبان وحملت قدامي الشمع طاعة للصلبان، ماردني ذلك عن الوصول إليك، وقتلك في أعز البقاع عليك، فإن كانت البلاد لي، فيا هدية حصلت في يدي وإن كانت البلاد لك والغلبة علي، فيدك العليا ممتدة إلى، وقد عرفتك وحذرتك من عساكر قد حضرت في طاعتي، تملأ السهل والجبل، وعددهم كعدد الحصى، وهم مرسلون إليك بإسياف القضاء.

فلما وصل الكتاب إلى السلطان وقرى عليه، اغرورقت عيناه بالدموع واسترجع، فكتب الجواب بخط القاضي بهاء الدين زهير بن مُحَّد كاتب الانشاء، ونسخه بعد البسملة وصلواته على سيدنا مُحَّد رسول الله وآله وصحبه أجمعين : أما بعد فإنه وصل كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك، وعدد أبطالك، فنحن أرباب السيوف وما قتل منا قرن إلا جددناه، ولا بغى علينا باغ إلا دمرناه، فلو رأت عينك أيها المغرور – حد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا منكم الحصون والسواحل، وإخرابنا منكم ديار الأواخر والأوائل، لكان لك أن تعض على أنا ملك بالندم، ولابد أن تزل بك القدم في يوم أوله لنا وآخره عليك، فهنالك ننسى بك الظنون "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلون" فإذا قرأت كتابي هذا، فكن فيه على أول سورة النحل" أتى أمر الله

[1]–نفسه ، ص 310

فلا تستعجلوه" وكن على آخر على سورة ص "ولتعلمن نباه بعد حين" ونعود إلى قول الله تعالى، وهو أصدق القائلين "كم من فئة قليلة غلبت فة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين" (البقرة، آية: 249) وإلى قول الحكماء إن الباغي له مصرع، وإلى البلاء يقلبك والسلام[1].

معركة منصورة و تولي تورنشاه قيادة المعركة

تجمعت القوات الإسلامية في المنصورة، وشرعت في شحن المدينة بالعتاد وإعدادها للمعركة المقبلة، ومن ذلك إصلاح سور المدينة المحيط بها وزودت المدينة بالعتاد والمقاتلة، وساعد على ذلك تطوع عدد كبير من العربان والعامة استعداداً لملاقاة الصليين.في وخلال هذه المرحلة كان الصليبيون يعملون على تدعيم مركزهم في دمياط، وتوقفت الأعمال العسكرية بين الطرفين لمدة تقرب من خمسة أشهر ونصف عمل كل طرف أثنائها على تدعيم مركزه. وكما كان تأخير الحملة قبرص قد عمل على تسرب أخبارها، فإن بقاء القوات الصليبية طوال هذه الفترة في دمياط قد عمل على اختلال الحملة، فقد عملت هذه الفترة على فاد النظام. وساد الإفراط في الملذات حتى أصبح الملك لويس التاسع عاجزاً عن السيطرة على القوات الصليبية. وإذا كان هذا هو الحال في المعسكر الصليبي فقد كان العكس في المعسكر الإسلامي . فقد نجح المسلمون في إعادة تنظيم صفوفهم وبدأوا المناوشات مع القوات الصليبية ونجحوا في أسر بعضهم[2].

وقرر الصليبيون الزحف صوب القاهرة بعدما وصلت اليهم بعض الإمدادات، ورتب الملك لويس حراسة قوية لحراسة المدينة بعد تحرك القوات الصليبية . وفي هذه المرحلة مات السلطان الصالح ايوب، وكانت محنة عظيمة ألمت بالمسلمين. ولكن زوجته شجر الدر ظهرت على مسرح الأحداث " وادركت خطورة إذاعة هذا الخبر على الجند، فقررت إخفاء خبر الوفاة ولم يعرف بذلك إلا الخاصة، وزورت وثيقة تحمل توقيع السلطان بتعين ابنه توران شاه قائدا عاما للجيوش ونائبا للسلطان أثناء مرضه. وخلال ذلك كان الصليبيون يتحركون جنوبا توصلوا إلى مدينة فارسكور في الثاني عشر من ديسمبر ١٢٤٩ م، ومنها تقدموا إلى شارمساح ثم إلى البرامون وأصبح بحر أشموم هو الفاصل بين المسلمين والصليين ،وعند هذه المرحلة توقفت القوات الصليبية وأقامت معسكرها على الضفة الشمالية وعملت على تأمين معسكرها بحفر الخنادق وإقامة المتاريس، وظلوا على هذا حوالي شهر ونصف، ثم شرعوا في بناء جسر ليعبروا عليه إلى الضفة الجنوبية لبحر

[1]- المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ص 438

[2]-محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص 310.

أشموم. ولم تكن عملية إقامة الجسر بالأمر الهين فقد أمطرهم المسلمون وابلا من القذائف، ولم يتمكنوا من إقامته . وأخيراً نجح الصليبيون في التعرف على مخاضة . دلهم عليها أحد العربان بعد ما رشوه بالمال – تمكنهم من العبور إلى المعسكر الإسلامي . كانت خطة الملك لويس أن يعبر هو وأخوته وجزء كبير من الجيش المخاضة إلى الجنوب، ويقوم بقية الجيش الصليبي بحراسة المعسكر الصليبي، وبعد إتمام عملية العبور تقوم الفرقة المخصصة للحراسة باستكمال عملية إقامة الجسر، وإذا ما تم النصر على القوات الإسلامية في المنصورة ، يتقدم الجيش الصليبي إلى القاهرة[1].

عبرت القوات الصليبية في فجر الثامن من فبراير عام 1250م و كانت عملية شاقة وبطيئة بسبب عمق المخاضة ، وكان في طليعة القوات الصليبية الكونت ارتو الذي شن على القوات الإسلامية المواجهة له هجوما عنيفا، وحقق نصرا عليها. وعندما وصلت هذه الأخبار إلى الأمير فخر الدين أسرع بدعوة القوات الإسلامية والتحم مع الصليبين في معركة عنيفة وقع فيها فخر الدين شهيداً فغسل بذلك عار انسحابه من جيزة دمياط .اغتر الكونت ارتو بالنصر الذي أحرزه ولم يبال باوامر الملك لويس ونصائح القادة الصليبيين بالتريث حتى تكامل القوات الصليبية، وأراد أن ينفرد بشرف النصر لنفسه، فاندفع بفرسانه في حالة من التهور إلى داخل مدينة المنصورة. وبدأت معركة مع الجيش الإسلامي الذي تمكن من إعادة تنظيم قواته بقيادة ركن الدين بيبرس البندقداري ، وانتهت المعركة بنصر كبير للمسلمين، قتل فيه عدد كبير من الصليبيين وعلى رأسهم الكونت ارتو في العاشر من فبراير عام 1250 م ولكن الملك لويس نجح في الاستيلاء على معسكر المسلمين خارج المدينة.

قرر الملك لويس الاستعداد لمواجهة أي هجوم على معسكره الجديد، كما استعدت القوات الإسلامية لمهاجمة القوات الصليبية. وفي الحادي عشر من فبراير من نفس العام بدأت معركة طاحنة بين الطرفين انتهت بانتصار المسلمين، وترتب على ذلك ارتباك القوات الصليبية بعد ما هزمت مرتين في يومين متتاليين، ولم تمض أيام قلائل حتى تفشي الوباء في القوات الصليبية، واضعف كل هذا من كفاءة الجيش القتالية، وأثناء النصر الذي أحرزه المسلمون وصل توران شاه من حصن كيفا ونزل بالصالحية وأعلن خبر وفاة الصالح أيوب و نودي بتوران شاه سلطاناً على مصر، وتقدم توران شاء إلى المنصورة في الخامس والعشرين من شهر فبراير فالتف حوله الجيش الإسلامي المنتصر وبدأ على الفور في إعداد القوات لمنازلة الصليبين المقيمين جنوبي بحر أشموم.

[1]–نفسه، 311.

ونجحت القوات الإسلامية في الاستيلاء على سفن الفرنج التي كانت تمر في بحر أشموم ، و شعر الصليبيون بقرب المجاعة و زاد موقفهم حرج عندما بدأ المسلمون في حصارهم ، و دارت معارك عديدة بين الطرفين في البر و البحر حول المنطقة المحصورة شرمساح و المنصورة حالف النصر فيها القوات الاسلامية البحرية و البرية[1].

تداعيات الحملة الصليبية السابعة:

أ- أسباب الهزيمة : ساهمت مجموعة من الأسباب في هزيمة الحملة الصليبية السابعة، والتي من أهمها:

1-التطوير العسكري في الجيش الأيوبي: فقد قام الملك الصالح أيوب، بإصلاح عسكري في الدولة وضع سياسة جديدة تقوم على استخدام الأتراك المماليك بشكل لم يسبق له مثيل من قبل أسلافه الأيوبيين، مكنته من متابعة حروبه الخارجية مع مملكة بيت المقدس والتصدي للحملة الصليبية السابعة[2] ، ورافق ذلك التطوير العسكري الاهتمام الديني به من حيث التربية والتعليم حتى أصبح كتائب المماليك تدافع عن عقيدة الإسلام، وأصبحت الدولة تحتفظ بجيش عقائدي ومنظم مدرب أحسن تدريب صناعته الحرب والقتال وأيدي من المهارة والبسالة في قتال القوات الصليبية، رغم هزيمتهم في بداية الأمر وتميز القواد المسلمون بوضع الخطط الحربية الممزوجة بالمكر والخدع الحربية والمثال على ذلك الخطة التي وضعها توران شاه عقب وصوله إلى المنصورة لقطع خطوط الإمدادات الصليبية عن الصليبيين المقيمين جنوب بحر أشموم تم مهاجمة القوات الصليبية في الوقت المناسب[3].

2-وحدة الصف الإسلامي: فقد كانت مصر والشام تحت زعامة واحدة ولاحت بشائر النصر منذ وصول الجيوش الشامية إلى مصر[4]، وكانت روح الجهاد تسرى في قلوب المسلمين حيث أن المتطوعين من المسلمين في مصر جاءوا من جميع أنحاء مصر بدأو يقاتلون العدو بالهجوم فيقتلون ويأسرون ففي أول شهر ربيع الأول بدأت الأعمال الفدائية ضد العدو فوقع في يد الفدائيين ست وثلاثين أسيراً كان من بينهم اثنان من فرسان العدو، أرسلا إلى القاهرة مكبلين بالحديد[5] ، ثم تتابعت الأعمال الفدائية ضد العدو تتابع أيضاً سقوط مزيد

---

[1]-نفسه، ص ص 312، 313.

[2]-فاطمة زيار الحمداني ، الملك الصالح أيوب وإنجازاته السياسية و العسكرية، رسالة الماجستير ،كلية الآداب، جامعة بغداد 1995، ص 151

[3]-محمود سعيد عمران ، تاريخ الحروب الصليبية، ص 317

[4]-محمود السيد، تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الايوبية والمملوكية، مؤسسة شباب الجامعة ، 1998، ص 95

[5]- المرجع نفسه، 91.

من الأسرى، فسقط في اليوم الخامس من نفس الشهر تسعة وثلاثين أسيراً ثم اثنان وعشرون في اليوم السابع وخمسة وأربعون في اليوم السادس عشر في بينهم ثلاثة من فرسان العدو، وبلغ عدد الأسرى في شهر جمادى الأولى خمسين أسيراً واستمر العمل الغدائي الشعبي في تكبيد العدو خسائر فادحة وعندما أعلن الجهاد المقدس من فوق منبر الجامع الأزهر في 26 شعبان 647هـ سرعان ما انتشر نبأ الجهاد في أنحاء مصر كلها واشتد حماس الجماهير في مصر للتطوع للجهاد، فخرج الناس من القاهرة، وسائر المدن والقرى فاجتمع عالم عظيم لا يقع عليه حصر، واستطاع الفدائيون من عامة المسلمين أن يزعجوا الصليبيين ومنعو من الاستقرار والراحة ، ويصف المقريزي هذا الدور العظيم الذي قام به الأهالي من العرب وغيرهم ضد الفرنج فيقول وأبلى عوام المسلمين في قتال الفرنج بلاء كبير، وانكوهم نكاية عظيمة وصاروا يقتلون منهم وياسرون الارقد سقط الشهداء من عامة المسلمين والمماليك – جنبا إلى جنب دفاعاً عن مصر[1].

3–هيبة القيادة الإسلامية: كان السلطان الصالح أيوب يتمتع بنفوذ حقيقي على رجال دولته وقادة جيوشه، وكانت أهم صفة يتحلى بنها الجند الإسلامي هي الطاعة لأوامر قائدهم، فقد كان للسلطان هيبة بالغة في نفوس مماليكه حتى أنهم كانوا يرتجفون رعباً عن المثول في حضرته.

ملاء القلوب مخافة ومحبة

قالياس يرهب والمكارم تعشق

واستمرت هيئة القيادة بعد وفاة الملك الصالح أيوب بفضل الله ثم شجرة الدر، فقد قامت بدور مجيد في هذه المرحلة، وقد كتمت خبر موت زوجها وتحملت الموقف بكل شجاعة ورابطت جاش وسارت الأمور كان لم يحدث ودارت العمليات العسكرية، كان السلطان لم يمت حتى وصل توران شاء الذي تولى القيادة في مصر، ولم تشر المصادر إلى وقوع أي خلل في الفترة الواقعة بين موت السلطان الصالح أيوب وحضور توران شاه[2] وهذا يدل على نجاح مهمتها في ذلك الحدث الخطير.

4–جهل الفرنجة بجغرافية البلاد الإسلامية: ومن الأسباب في هزيمة الصليبيين جهلهم بجغرافية البلاد المصرية، وطبيعة الطرق التي اتخذوها للوصول إلى القاهرة بعد احتلالهم لمدينة دمياط، فقد ارتكبوا نفس الخطأ الذي

[1]–نفسه ، ص ص 93 94 –

[2]–تاريخ الحروب الصليبية، ص 318.

وقعت فيه حملة جان دي برين منذ ثلاثين سنة، إذا استخدم نفس الطريق المائي الوعر الذي استخدمه جان برين من قبله، أي الطريق من دمياط إلى القاهرة ماراً بالمنصورة، فبنها وكان هذا الطريق يعترضه قنوات وترع تتفرع عن الفرع الشرقي للنيل هي أشبه بشبكة الصائد وتصلح أن تكون أفخاخاً للإيقاع بالجيش الفاتح، وغير ذلك، فإنه يمر بعدد من مراكز الدفاع القوية التي يمكن للقوات المصرية استغلالها ضد الفرنج [1]وإن المصير الذي آلت إليه حملة لويس التاسع ومن قبلها حملة جان دي برين لهو دليل كاف على صحة ما نقول، فلم يستولي قائد الحملة الصليبية الخامسة على دمياط إلا بعد حصار دام زهاء 17 شهرا، وعندما تقدم داخل الدلتا كانت قواته قد أنهكت بعد هذا الحصار الطويل، وقد توقفت أمام بحر أشموم حيث كان يعسكر قبالته من الناحية الأخرى وأحسوا بخيبة الأمل عندما تبينوا أن الأرض التي كانت تفصل بينهم وبين قاعدتهم في دمياط قد غمرتهم مياه الفيضان، إذ كان النيل في ازدياد واستغل – المسلمون – هذه الفرصة وقطعوا السدود، فأسرع الفرنج بالتراجع صوب دمياط، لكن المياه كانت تحيط بهم من كل جانب، وتعقبهم المسلمون بشده.

ولكي ينج الصليبيون بأنفسهم من المجاعة أو الغرق، اضطروا إلى طلب فتح باب المفاوضات وقد سمح لهم السلطان بالرحيل بعد أن أخلوا دمياط أما مصير حملة لويس التاسع فكان أسوأ من ذلك بكثير عندما اتبع نفس الطريق،[2] ، ويبدو أن نابليون بونابرت في حملته على عام 1798م، استفاد من أخطاء من سبقه، فأختار طريق أخرى، من خلال الرسو في الإسكندرية مع الاحتفاظ بخط سير على غربي فرع النيل الغربي (فرع رشيد) ويمر هذا الطريق بدمنهور والجيزة.

ولذا يمكننا القول بحق إن السبب الأكبر في فشل الحملة الصليبية السابعة، يرجع إلى قلة المعلومات الجغرافية واختيار الطريق الوعر غير العملي، ولو أن القوات الصليبية اضطرت للقتال بعيداً عن مجرى ماء، كبحر أشموم وفي خلاء الصالحية أو بلبيس مثلاً لكانت هناك فرصة أكبر للنجاح وإن استحال هذا الطريق، فإن الطريق الآخر هو النزول في الإسكندرية ومتابعة خط سير بونابرت في 1798م[3].

5–خطأ كبير في تقدير العامل الزمني: وكما أخطأ لويس التاسع في اختيار الطريق السليم إلى القاهرة، كذلك لم يقدر بوصفه قائد الحملة أهمية العامل الزمني في الحروب ودخله في تقرير مصير البلاد ، فالحروب

[1]–جوزيف نسيم يوسف ، العدوان الصليبي على مصر هزيمة لويس التاسع في المنصورة و فارسكور ، دار النهضة العربية، 1981، ص 241

[2]–المرجع نفسه، ص 242

[3]–المرجع نفسه ص ص 243، 245

عادة تقوم على السرعة والمباغته، لأن هذه السياسة هي أحسن ما يمكن اتباعها ليث الاضطراب في معسكر العدو ولكن حوادث الحملة أثبتت أن الصليبيين لم يراعوا على الإطلاق قيمة هذا العامل الهام وما يترتب على التباطئ والتأخير من أضرار بالغة[1].

فالوقت الذي أضاعه الصليبيون في قبرص كان سببا في تسرب أنباء تحرك الحملة والوقت الذي أضاعوه في دمياط كان سببا في إعطاء الفرصة للقوات الإسلامية في التقاط أنفاسهم وإعادة تنظيم قواتها، وفضلاً عن ذلك فإن هذا الوقت الذي ضاع في قبرص ودمياط قد أدى إلى نفاذ المؤن والأموال ودفع بالقوات الصليبية إلى اللهو والإنغماس في الملذات، مما أدى إلى إنهاك القوات الصليبية واختلال توازنها وانتشار الأمراض وموت عدد من الصليبيين وكان على الصليبيين الاتعاظ من ضياع الوقت في قبرص ولكنهم عادوا وكرروه في دمياط دون قتال واعتقادهم أن الطريق أصبح مفتوحا أمامهم إلى القاهرة وأنهم سيستولون على القاهرة بنفس السهولة التي استولوا بها على دمياط[2].

6-فتور الروح الدينية عند الصليبيين : وعلى الرغم من اتسام هذه الحملة الصليبية بالطابع الديني، فإننا نلاحظ فتور هذه الروح بين كثير من المقاتلين، وتدخل المصالح المادية في الحركة الصليبية، وإن موقف البحارة الجنوية والبيازنة وجماعة الرهبان الداوية لدليل كاف على ذلك، فقد غلبت على الجنوية والبيازنة الذين بقوا في دمياط لحراستها، عندما تقدم الجيش الفرنسي جنوباً صوب العاصمة الضفة التجارية، ورأوا ألا يعرضوا أنفسهم للخطر عندما علموا بوقوع لويس التاسع ورجاله في أسر المسلمين فتراهم يقرون ترك دمياط والنجاة بأنفسهم ولم يعدلوا عن رأيهم إلا بعد أن ابتاعت لهم الملكة مرجريت كل ماهم في حاجة إليه، وأدخلتهم تحت نفقة الملك الخاصة، فقد كانت حرفتهم التجارة وهمهم الأول والأخير هو الكسب المادي.

وأما الداوية الذي من مبادئهم الفقر والطاعة، فقد أظهروا جشعهم وأنانيتهم عندما رفضوا إقراض لويس التاسع المال اللازم لاتمام دفع الفدية للمسلمين ولم يحصل الملك على المبلغ المطلوب إلا بعد مناقشات حامية بينه وبينهم اشترك فيها جوانفيل، وهكذا يمكن القول إنه لم يكن لكثير من الصليبيين رغبة صادقة في القتال الديني وإن إخلاص المسلمين لمبدأ الجهاد في سبيل الله، كان يفوق إخلاص المسيحيين له[3].

---

[1]-المرجع نفسه، ص 246.

[2] -محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص 316

[3]-نسيم جوزيف، العدوان الصليبي على مصر، ص 255

7-التهور وقصر النظر: ومن العوامل في هزيمة الحملة السابعة، التهور وقصر النظر والإهمال الشديد من جانب الفرنج، فلولا تهور كونت أرتوا واندفاعه داخل المنصورة بعد عبوره قناة أشموم لما حدثت تلك الهزيمة المنكرة التي قضت على مقدمة الجيش المسيحي، أما قصر النظر وعدم التقدير لخواتيم الأمور، فيبدوا جلياً في القرار الذي اتخذه مجلس الحرب الصليبي الذي عقد بدمياط، بالتوجه جنوبا صوب العاصمة بدلاً من التوجه إلى الإسكندرية، ذلك القرار الذي كان حلقة جديدة في سلسلة الأخطاء التي انتهت بفشل الحملة.

وأما إهمال الفرنج وتهاونهم فيتضح في نسيانهم تحطيم الجسر الموجود على بحر أشموم عند تراجعهم من المنصورة إلى قاعدتهم في دمياط في الخامس من أبريل 1250م، مما ترتب عليه أسوأ النتائج بالنسبة للصليبيين الهاربين وإلى جانب هذا كله، فقد كان الشقاق والغيرة وتفرق الكلمة وعدم التعاون متوفراً في الجانب المسيحي ، بينما كان الجانب الإسلامي متحد الكلمة و ة ومتفق الرأي، فقد وقف المسلمون أمام القوات الصليبية كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً[1]، هذه أهم الأسباب التي ساهمت في فشل الحملة الصليبية السابعة.

تداعيات الحملة الصليبية السابعة:

1-عجز فرنسا عن تحقيق أهدافها و الملاحظ أن فعاليات الدور الفرنسي في دعم الحركات الصليبية، لتوجه إلى البعد الافريقي نالها الخسران المبين ووعجزت فرنسا عن صنع واقع حربي و سياسي في المنطقة على حساب الأيوبيين ، وبذلك تأكد للدارسين كيف أن كافة المحاولات الصليبية لإخضاع مصر سواء في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر و السادس و سابع الهجري لم تحقق أدنى نجاح، و لا شك في أن صورة أسرة آل كايبه الحاكمة في فرنسا، ضعف أمرها بين الأسر الحاكمة في أوروبا بسبب الهزيمة الشنيعة التي تعرض إليها لويس التاسع ووقوعه في الأسر[2].

2-المرأة في صفوف المعارك لقد اثبتت لنا تلك الحملة دور المرأة المسلمة، خلال ذلك الصراع العنيف بين المسلمين و الصليبيين على أرض مصر، كما تجدر الإشارة إلى شجرة الدر الذي حفظ لها التاريخ حكمتها في

[1]-المرجع نفسه، ص 256

[2]-مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق و الغرب ، ص 310

أصعب المواقف التي مرت بها الدولة الأيوبية، و من الممكن القول بأن المرأة المسلمة كانت تعمل في الجبهة الداخلية التي هي أساس نجاح جبهات الصراع الحربي مع الصليبيين وساهمن في صنع تاريخ الأمة الجهادي[1].

3-تضررالاقتصاد الأوروبي أكد بعض المؤرخين عن كلفة الحملة الصليبية السابعة فقدرها عن ما يزيد 300.000 ليرة تورية (عملة نقدية مسكوكة في مدينة تور الفرنسية)، هذا المبلغ يعادل دخل الخزينة الفرنسية بحسب تقديرات سنوات 1256 \1259م ، و لا شك أن هذا الحجم الهائل من الأموال الذي أنفق دون طائل أي دون تحقيق الهدف الذي انطلقت من أجله الحملة الصليبية، كان مؤشرا على أوضاع قطاعات واسعة من الأوروبيين الذين تضرروا نتيجة السياسة اختطتها لهم الكنيسة، مما جعلهم فيما بعد يتراجعون عن تأييد الكنيسة في الكثير من قراراتها بل و يوجهون لها النقد في إدارتها للحروب الصليبية[2] .

4-من النتائج التي ترتبت على هذه الحملة تخريب مدينة دمياط التي قاست الأمرين من حملات الفرنج المتتابعة عليها في عهد الدولة الأيوبية[3].

5-انقطاع الإمدادات ، انتظر الملك لويس التاسع خلال وجوده بعكا وصول الإمدادات و النجدات التي بعث في طلبها من الغرب الكاثوليكي ، وقد ارسلت اليه الملكة بلانشي مساعدات لكن السفينة غرقت قبل الوصول إلى عكا، و لم يكن له ما يكفي للقيام بأي عمل ايجابي حاسم[4].

6-ضعف الروح الصليبية جراء موت الملك لويس التاسع، و يمكن الاستدلال على هذا الفتور الذي طرأ على الحركة الصليبية، حيث اصبح التفكير في خوض حرب دينية خارج اوطانهم من الحماقة، طالما كان في وسعهم الاتصال بالله في وطنهم و يعيشون في سلام[5].

---

[1]-نفسه ، ص ص 310 ، 311

[2]-العمادي ، في تاريخ الايوبيين و المماليك، ص 226

[3]-العدوان الصليبي على مصر، ص267

[4]-نفسه ، ص 271

[5]-نفسه، ص 282

خلاصة القول:

من خلال ما سبق نرى أن خلفاء صلاح الدين لم يقوموا بنفس الدور الذي قاموا به في الجهاد ضد الصليبيين، و لم يهتموا بخلق دولة قوية تقف في وجه الأطماع الصليبية، فانخرطوا في حرب الوراثة بين بعضهم و أن هذه الفترة كانت فترة ضعف و خور بالنسبة للدولة الأيوبية على الرغم ما حققته من إنجازات لكن ذلك لم ينفع لكون أنها أنشأت خليفتها من المماليك.

خاتمة

خاتمة:

تميز العصر الأيوبي بطابع خاص هو طابع الجهاد والكفاح ضد الصليبيين، ولقد كان المبرر الشرعي والأخلاقي لقيام الدولة الأيوبية التي أسسها الناصر صلاح الدين الأيوبي على أنقاض الدولة الفاطمية وبقايا الدولة يتمثل في دور مؤسسها في الجهاد ضد الهجوم الصليبي.

لذا نستخلص من هذه الدراسة "الحملات الصليبية في العهد الأيوبي على مصر والشام" عدة نقاط نذكر منها:

1-بعد اتساع الفتوحات الاسلامية التي امتدت على طول الشرق والغرب سعى الصليبيون إلى تدمير ومحو الإسلام الذي يهدد سلطانهم مستغلين الوضع الذي كانت تعيشه الدويلات الاسلامية بعد أن دب الضعف والانحلال ألى جسدها.

2-عمل رجال الكنيسة على التبشير والترغيب بين الناس للمشاركة في الحرب من خلال وعدهم بأن الزيارة لمهد عيسى تساوي الذهاب إلى الجنة.

3-في بداية القرن الحادي عشر وبعد استقرار المسيحيين في المجتمعات الأوروبية لم يلبث هذا الاستقرار أن تبلبل بسبب تمرد أقوام لم تهضم الثقافة المسيحية بشكل كامل ولم تندمج معها، إضافة إلى المجاعات المتكررة التي شهدتها أوروبا حيث ترك الكثير من الناس أعمالهم والتجأو إلى الجبال والمناطق النائية، مما أحدث هزة عنيفة في النظام الإقطاعي، ولم تنفع التدابير المتخذة بحزم حتى ولا عقوبة الإعدام أن تضع حدا لهجرة الناس وتشردهم، لقد كان الناس البؤساء يتشبثون بأي شيء للخلاص من وضعهم المؤسف لذلك تراهم يتجهون إلى تلك الحروب بحرارة واندفاع.

4-حرص الصليبيون على إبقاء الروح الصليبية فاعلة على الساحة الأوروبية، وقد تمثل ذلك بنجاحهم في العمل وجعل الغرب الأوروبي يرسل حملات صليبية جديدة كل مرة.

5-عملت القوة الصليبية في هذه الفترة على تركيز جهودها على الجبهة المصرية استمرار للاستراتيجية الصليبية التي بدأت تتبلور بعد هزائمهم منذ أيام صلاح الدين، هذه الاستراتيجية التي ترى ضرورة السيطرة على مصر بما يشكل للصليبيين ضمانا لاستمرار وجودهم في بلاد الشام.

6-في الحملة الصليبية الثالثة، كان هناك تحالفا قد تحالفا قم تم بين السلطان الأيوبي صلاح الدين والامبراطور البيزنطي إسحاق الثاني إنجليوس ومن المنطقي تماما أن تسعى تلك الامبراطورية إلى إيجاد توازن ما مع القوى الاسلامية المجاورة، فلم تكن لتقبل بانتصار ساحق للصليبيين على المسلمين في بلاد الشام، على نحو يؤدي إلى زيادة قوتهم وبالتالي يواجهون تلك الامبراطورية برئاسة أكبر، لقد أرادت بيزنطة أن تجعل كافة الأطراف تحتاجها سلميا أوحربيا من خلال لعبة توازن القوى التي برعت فيها في أحيان عديدة، وقد كشفت الحملة الصليبية الثالثة على مدى العداء الذي لعبته الجيوش الصليبية لبيزنطة.

7-أدت البابوية دورا مهما في الحملة الصليبية الخامسة فقد قام البابا إنوسنت الثالث بعمل صليبي ضخم وسعى جاهدا طوال مدة جلوسه على البابوية أن يفرض سيطرته على الممالك النصرانية في اوروبا يوجهها وفق المصلحة النصرانية العامة، وقد نجح في ذلك إلى حد كبير لدرجة أنه أصبح سيدا على كل ربوع أوروبا تقريبا، كما أن انتصار النصارى على المسلمين في موقعة في اسبانيا شجعه على الدعوة للحملة الصليبية الخامسة، فأراد أن يتبع هذا الانتصار في الغرب آخر في الشرق، ورحبت المدن الايطالية التجارية بدعوة البابا نظرا لما يعود عليها من منافع تجارية على الرغم من أن العادل منح هذه الجمهوريات بعض الامتيازات في بعض الموانئ وهناك عامل اجتماعي آخر أدى دورا بارزا في الاستجابة للدعوة البابوية، ذلك أن الحملات الصليبية كانت متنفسا للعامة في أوروبا ووسيلة للتخلص من الظلم الاجتماعي، ومن دفع الديون وفوائدها، فضلا عن مناخ أفضل للحياة، بالاضافة إلى التكفير عن خطاياهم للقيام بالحملة المنتظرة.

8-بدأ الصليبيون بإحكام الحصار حول مدينة دمياط من البر والبحر، وضيقوا على أهاها، ومنعوا وصول الأقوات إليهم، وبدأت حاميتها بالانهيار ولكن سكان المدينة استمروا في قتال الصليبيين وثبتوا مع قلة الأقوات، وكان الملك الكامل يرسل بعض العوامين ليتحسس أخبار الأهالي في دمياط ويطمئنهم على وصول النجدات إليهم، حيث كان أسلوب الصليبيين في دمياط بربريا همجيا، متخلفا بعيدا عن الحضارة والقيم الانسانية.

9-عندما زحف الصليبيين نحو القاهرة جعل الملك الكامل من المنصورة محور الارتكاز لجميع خططه واستطاع أن ينزل قوات خلف الجيش الصليبي المتقدم فقطع عليه خط الرجعة وعزله عن دمياط، كما أجهز على سفنه الراسية بين المقدمة والمؤخرة وحاصره برا وبحرا ثم أرسل قوة عسكرية عبرت إلى الأراضي التي يعسكر فيها

الصليبيون، ففجروا سدود المياه فلم يشعر هؤلاء إلا وقد غرقت أكثر الأراضي المحيطة بهم وأحكم الملك الكامل خططه وسيطر المسلمون على الموقف واضطر الصليبيون للصلح.

10-كشفت الحملة الصليبية الخامسة العلاقة الأبدية بين مصر والشام، إذ أن كلا منهما عمق استراتيجي للآلآخر، وعندما تعرضت أرض الكنانة للخطر قدم إليها الدعم والعون الحربي من شقيقتها الجغرافية والتاريخية لبلاد الشام، وهكذا وجد الخطر الصليبي المشترك تاريخ المنطقتين المتجاورتين بصورة أكدتها مراحل التاريخ السابقة وكذلك اللاحقة.

11-إن النتيجة الكبرى للحملة السادسة تمخضت عنها عودة بيت المقدس دون إراقة الدماء، ومن خلال حملة صليبية عجيبة خرجت ولعنات البابا تلاحق زعيمها فريدريك الثاني.

12-تحالف الملك الصالح أيوب مع الخوارزمية الذين أعادوا فتح بيت المقدس وتمكنوا مع جيش الملك الصالح أيوب من إلحاق هزيمة ساحقة بالتحالف الشامي الصليبي.

13-تبنى البابا أنوسنت الرابع الحملة الصليبية السابعة وأعلن تأييده لها وكانت دعواه عاملا فعالا في إعدادها فضلا عن لويس التاسع الذي أخذ على عاتقه مهمة النهوض بالحملة، وقد استغرق إعداد الحملة ثلاثة سنوات، وفرضت ضرائب استثنائية على الجميع.

14-ساهمت مجموعة من الأسباب في هزيمة الحملة الصليبية السابعة والتي من أهمها التطوير العسكري الذي حدث في الجيشالأيوبي ومن الأسباب أيضا، وحدة الصف الاسلامي فقد كانت مصر والشام تحت زعامة واحدة ولاحت بشائر النصر منذ وصول الجيوش الشامية إلى مصر، وكان السلطان الصالح أيوب يتمتع بنفوذ على رجال دولته وقادة جيوشه، وكانت أهم صفة يتحلى بها الجند الإسلامي هي الطاعة لأوامر قائدهم.

الملاحق

الملحق 1[1]:

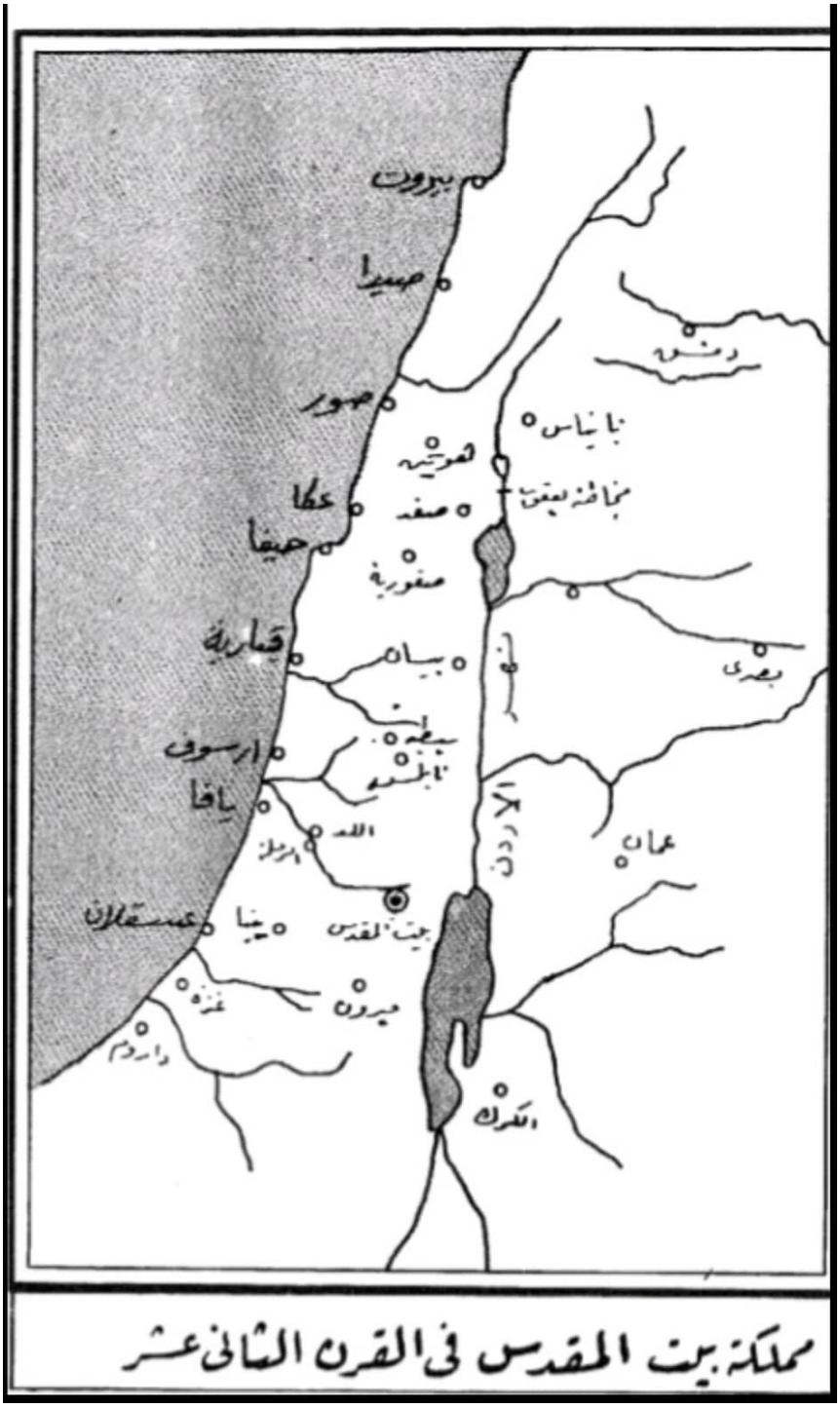

مملكة بيت المقدس في القرن الثاني عشر

[1]–عبد العظيم رمضان " الصراع بين العرب و اوروبا، ص 413.

الملحق 2[1]:

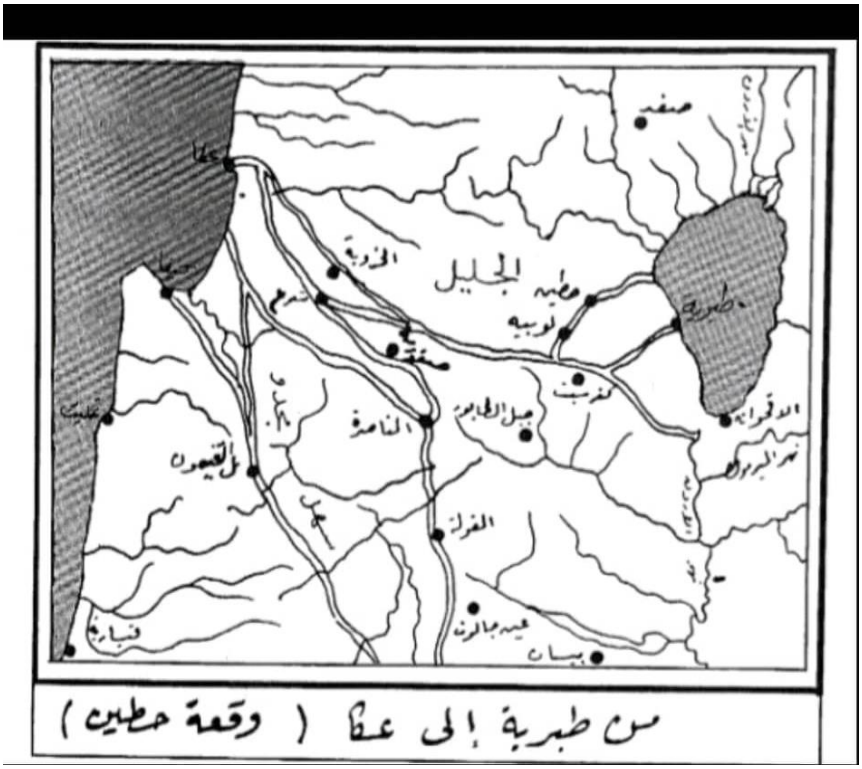

[1]-عبد العظيم رمضان " الصراع بين العرب و اوروبا، ص 511.

الملحق 3[1]:

حملة الملك لويس التاسع على مصر ، سنة ١٢٤٩ م .

[1]عبد العظيم رمضان " الصراع بين العرب و اوروبا، ص 493.

الملحق 4[1]:

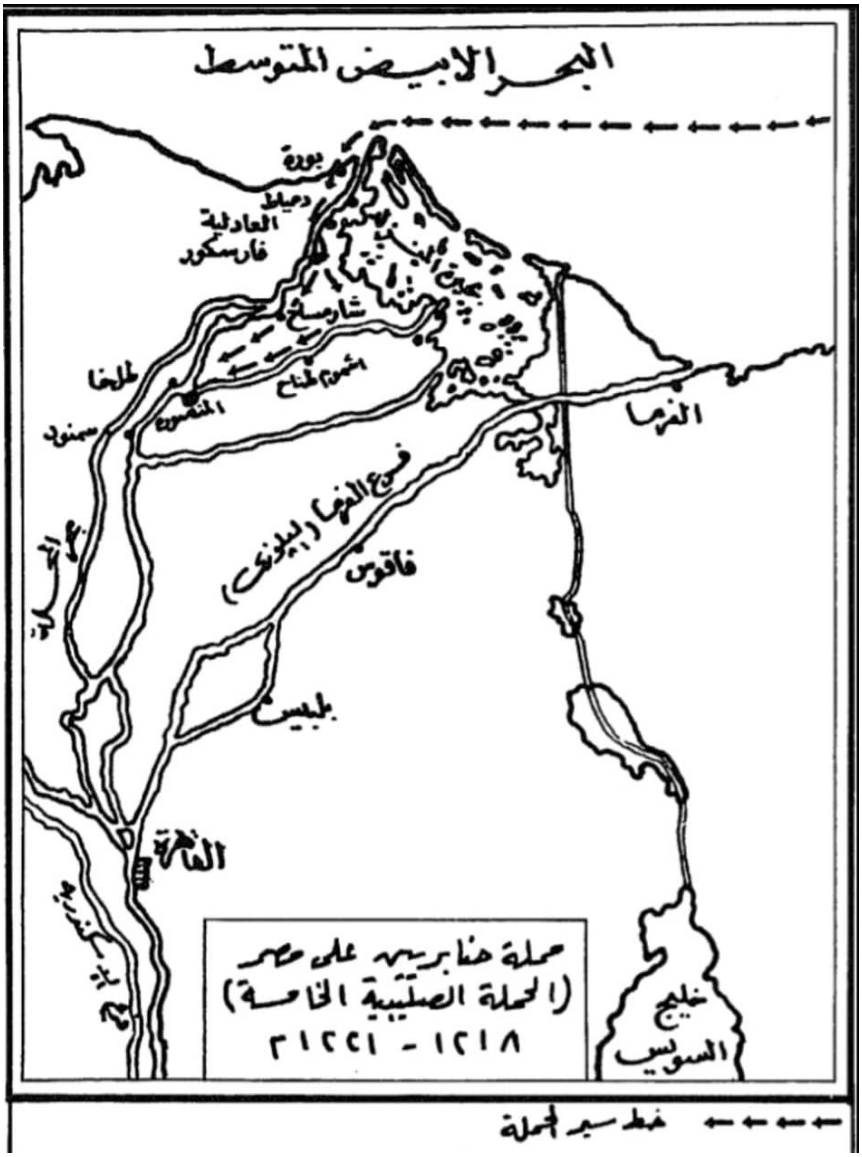

[1]-عبد العظيم رمضان " الصراع بين العرب و اوروبا، ص 520.

قائمة

المصادر والمراجع

المراجع:

1-راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية من البداية الى عهد عماد الدين زنكي ، ط2 ، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع والترجمة ، القاهرة ، 2009م.

2-قاسم عبدو قاسم ، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة ، الكويت، 1990م.

3-عاشور سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، القاهرة ، 2005.

4-سهيل زكار ، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1972.

5-زبونة نادس مرسي ، محاضرات من تاريخ وحضارة الدولة الفاطمية، ط1، دار الثقافة العربية ، القاهرة.

6-جمال الدين عبد الله مُحَّد ، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها الى مصر الى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش ، دار الثقافة العربية ، القاهرة، 1991.

7-طقوش سهيل مُحَّد ، تاريخ الفاطميين في شمال افريفيا و مصر و بلاد الشام، ط2، دار النقاش ، 2007.

8-طقوش سهيل مُحَّد ، تاريخ الايوبيين في مصر و بلاد الشام و إقليم الجزيرة،ط1 ، دار النفائس ، 1420- 1999

9-سلام الشافعي محمود ، اهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الاول ، مطابع الهيئةالمصرية العامة للكتاب ، 1994.

10-بسام العسلي ، الايام الحاسمة في الحروب الصليبية، دار النفائس ، ط1 ، د، م ، ن ، د، س، ن

11-العروسي المطوي مُحَّد ، الحروب الصليبية في المشرق و المغرب ، دار الغرب الاسلامي، تونس ، 1982.

. 12-وفاء مُحَمَّد علي ، قيام الدولة الايوبية في مصر و الشام، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1407هـ

13-محمود السيد ، تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الايوبية والمملوكية، ط1 ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1998.

. 14-محمود السيد ، تاريخ الحروب الصليبية، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 2006

15-محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية 1095م - 1291م ،ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2007.

16-عصام عبد الرؤوف الفقي، الدولة الاسلامية المستقلة في الشرق، دار الفكرالعربي، القاهرة، 1987.

17-مُحَمَّد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.

. 18-حمدي عبد المنعم حسين، دراسات في تاريخ الايوبيين و المماليك، دار المعرفة الجامعية، 1998

19-أحمد المختار العبادي، قيام دولة المماليك الاولى في مصر و الشام، ط3، مكتبة النهضة المصرية، 1967.

المصادر:

1-ياقوت ، أبو عبد الله بن عبد الله الحموي (ت 626هـ / 1228م) ، معجم البلدان ،ج2 ، دار الفكر ، بيروت.

2-النويري، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت 733هـ /1332) نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق : مفيد قمحية و جماعة ، ط1 ، ج 27 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1424هـ - 2004م

3-المقريزي ، احمد بن على بن عبد القادر بن مُحَمَّد تقي الدين (ت 845هـ / 1445م) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الافاطميين الخلفا ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، ط2 ، ج1 ، وزارة الاوقاف ، مصر ، 1996م.

4-ابن الكثير ، ابو الفداء الحافظ ت ( )، البداية و النهاية، تحقيق: احمد عبد الوهاب فتيح، ج12، ط5، دار الحديث ، القاهرة، 1998\1418.

5-ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَّد، ت(597هـ _ 1200م) ، المنتظم في تاريخ الملوك و الامم، ج15، ط1، دار الصادر ، بيروت ، دت.

6-ابن القلانسي ، ابو يعلي حمزة بن أسد ،ت(555هـ _ 1160م) ،تاريخ دمشق لابن القلانسي ، تحقيق : سهيل زكار ، دار حسان للطباعة و النشر، ط1 ، دمشق ، 1403هـ - 1983م.

_7-ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي ،ت (874هـ _ 1469م)، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر و القاهرة، ج1 ، وزارةالثقافة و الارشاد القومي ، مصر ، دت.

8-الذهبي ، شمس الدين مُحَّد ابن احمد بن عثمان ، ت (748هـ- 1347م) ، سير اعلام النبلاء، تح: شعيب الارناؤوط، مُحَّد نعيم العرقوسي، ط9، ج 15 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1413.

9-الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تح : صلاح الدين المنجد ، ط2 ، ج1 ، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ، 1984.

10-الذهبي ، تاريخ الاسلام و وفيات المشاهير و الأعلام ، تح : عمر عبد السلام تحمري ، ط1 ، دار الكتب العربي ، بيروت ، 1407هـ -1987م.

11-ابن الاثير ، أبو الحسن علي بن أبيالكرم مُحَّد بن مُحَّد بن عبد الكريم ، ت (630هـ - 1232م) ، الكامل في التاريخ ، تح: عبد الله القاضي، ط2 ، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1415.

12-الهمذاني ، ابو الفضل مُحَّد بن عبد الملك بن ابراهيم ، ت (521هـ- 1128م) ، تكملة تاريخ الطبري، تح : البرت يوسف كنعان ، ط1، ج1 ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، 1403.

13-أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن علي ، ت(732هـ- 1331م)، المختصر في أخبار البشر، ط1، ج1، المطبعة الدينية ، مصر ، دت.

14-ابن شداد، شهاب الدين ، النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين شيال، ط1، الدار المصرية للتأليف، 1964.

15-أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن، الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية، تحقيق: مُحَّد حلمي، المؤسسة المصرية ، القسم الاول، 1992.

المذكرات:

1-حازم احمد سليم الحلاق ، الاوضاع الاجتماعية و العلمية و الدينية و الاقتصادية و السياسية للمشرق الاسلامي قبيل الحروب الصليبية (334- 490هـ / 945- 1097م) رسالة ماجستير، كلية الاداب، قسم التاريخ و الاثار ، جامعة الاسلامية غزة ، 1436هـ- 2014م.

2-شذا مُحَّد مُحَّد ، الحركة التاريخية في مصر في العصر الفاطمي ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب و العلوم الانسانية، قسم التاريخ ، جامعة البعث ، سوريا ،2019.

3-فاطمة زيار الحمداني ، الملك الصالح أيوب وإنجازاته السياسية و العسكرية،رسالة الماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1995.

الملخص

الملخص:

تتناول هذه الدراسة الحملات الصليبية في مصر و الشام خلال العهد الايوبي عدة جوانب مهمة في تاريخ المسلمين و الصليبيين و التي تمثلت في أوضاع العالم الاوروبي الصليبي قبيل الحملات و الدوافع التي أدت الى نشوبها و كذلك أوضاع العالم الإسلامي من حيث المخاصمات و المنازعات الداخلية التي خلقت تشققات إستغلها الفرنج، و تزامنت هذه الدراسة في بداية تأسيس صلاح الدين للدولة الايوبية و مما توالت بعدها من أحداث من موقعة حطين و إسترجاع بيت المقدس و الحملة الصليبية الثالثة و حتى الى وفاة مؤسس هذه الدولة الذي نجم بعده خلاف كبير بين أمراء البيت الايوبي أدى ذلك الى تقسييم الدولة الايوبية كما تعمقت هذه الدراسة الى الحملات الخامسة و السادسة و السابعة التي اختلفت تارة في مصر و تارة أخرى في الشام و التي تميزت هذه الحملات منها ما قامت بدون إراقة الدماء اعتمدت على المفاوضات و منها ما كان التحالف بين أمراء الصلبيين و ملوك المسلمين ضد البابوية التي صاحبة حملة صليبية بالسخط و اللعنة.

Resume :

This study coincided with the beginning of Salah al-Din's founding of the Ayyubid state and the subsequent events of the Battle of Hattin, the restoration of Jerusalem and the Third Crusade, and even to the death of the founder of this state, after which a great dispute arose between the Ayyubid emirs, which led to the division of the Ayyubid state. This study also delved into the fifth, sixth and seventh campaigns that differed sometimes in Egypt and at other times in the Levant, and which were distinguished by these campaigns, including what was carried out without any bloodshed, including what was the alliance between the Crusaders princes and the Muslim kings against the papacy, whichcampaigned Her wrath and her curse.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

	الصفحة
البسملة	
الشكر	
الاهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ-ث
الفصل الأول:الأوضاع العامة قبل الحملات الصليبية	6
المبحث الأول: أوضاع أوروبا المسيحية قبيل الحملات الصليبية	7
المبحث الثاني: أوضاع مصر والشام قبيل الحملات الصليبية	11
المبحث الثالث: دوافع الغزو الصليبي	22
الفصل الثاني: الصراع الأيوبي الصليبي	29
المبحث الأول: تأسيس الدولة الأيوبية	30
المبحث الثاني: جهود صلاح الدين ضد الصليبيين	34
الفصل الثالث: الحملات الصليبية على مصر والشام	50
المبحث الأول: الحملة الصليبية الخامسة على مصر 615هـ/1217م	51
المبحث الثاني: الحملة الصليبية السادسة	58
المبحث الثالث: البحث الثالث: الحملة الصليبية السابعة	65
خاتمة	81
قائمة الملاحق	85
قائمة المصادر والمراجع	90
الملخص	
فهرس المحتويات	